شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

المسمى

أصول المسائل الاعتقادية

من القصيدة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية

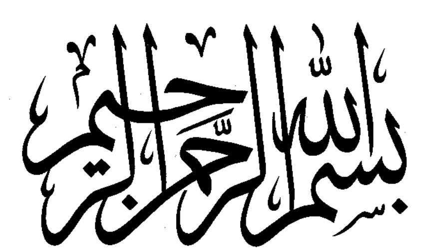
الدكتور رأفت محمد رائف المصري

المشرف العام على مؤسسة مدارج لإدارة البحوث والمشروعات العلمية

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين



عمان - الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

المسمى

أصول المسائل الاعتقادية

من القصيدة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

المملكة الأردنية الهاشمية

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٤/١١/٥٢٤٣)

❖ المصري ، رأفت "محمد رائف".

❖ شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية / رأفت "محمد رائف" المصري، عمان الفاروق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤

❖ عدد الصفحات (١٢٦) .

❖ الواصفات / العقيدة الدينية//الإسلام /.

❖ ر.أ.: ٢٠١٤/١١/٥٢٤٣ .

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

دار الفاروق للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي – عمارة جوهرة القدس

E- mail: daralfarouq@yahoo.com

المركز الحرفي الاردني للطباعة الفنيه

عمان - الاردن

هاتف 5528556 خلوي 0795355488

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمّة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً كثيرين عظيمين إلى يوم الدين، ثم **أما بعد:**

فإن تربية الأمة بغرس العقيدة الصحيحة في قلوب أبنائها، لهو الطريق إلى انتشالها من رقدة غفلتها، ومن جحيم غلوّها في تنكّبها سبيل المجد، وفجاج العلياء...

وسلف الأمّة هم- والله - من يستنير السالك بنور علمهم، ويهتدي الضائع عن الحق إليه بصفاء إيمانهم، ويقتدي العامل بصالح أعمالهم.

كيف لا؟ وهم الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

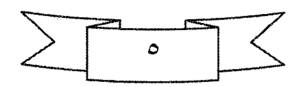
كيف لا؟ وهم الذين شهد لهم خير البرية- قدوتهم- بأنهم خير القرون: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1].

فهم الذين حملوا الإيمان نضّاحاً في قلوبهم، فأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ربّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

من سار على نهجهم واتبع سبيلهم وصل إلى مبتغاه، ومن جانَب طريقهم فقد التزم ضلاله واختار شقاه.

---

(١) البخاري ج٢ ص ٠٩٣، ٢٥٠٩ كتاب الشهادات. باب لا يشهد على جور أذا أشهد والأحاديث: ٦٢٨٢/ ٦٠٦٥/ ٣٤٥١.ومسلم ٢٥٣٣ ج٤ ص ١٩٦٣ كتاب فضائل الصحابة / باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.الترمذي: ج٤ ص ٥٠٠ حديث رقم ٢٢٢١ كتاب الفقه/ باب القرن الثالث، والأحاديث: ٢٣٠٢و٢٣٠٣و٣٨٥٩.ومسند أحمد: ج١ ص ٣٧٨ حديث رقم ٣٥٩٤، مسند عبد الله بن مسعود. والأحاديث: ٤١٣٠ و٤٢١٧و١٨٣٧٤و١٨٤٥١و ١٨٤٧٠و١٩٨٣٣.



وهم المؤمنون الذين توعّد الله من خالف سبيلهم بأن يصليه جهنم، ويولّيه ما تولّى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، ولقد وجدت المصنفات في علم العقيدة وفيرة كثيرة بفضل الله منها القديمة والحديثة، ومنها المبسوطة والمختصرة، ومنها ما هو بين ذلك.

ومنها المتون المختصرة وما وضع عليها من شروح، وأخرى بعيدة عن هذه الطريقة، فهي كتب مبوّبة ومفصّلة، ليست مرتبطة بمتن معين تراعي ترتيبه وألفاظه.

وقد وجدت القصيدة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-نظماً مختصراً سهلا، عذب الألفاظ، جميل التراكيب، ميسور الحفظ والفهم، حاوياً لكبار المسائل التي يحتاجها طالب العلم المبتدئ؛ فرأيت أن أشرحها وأدلّل لما جاء فيها من مسائل من كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال سلف الأمة وأعلامها.

وقد جاء هذا الشرح مناسباً لحجم القصيدة القصيرة، غير مُغفلٍ مناسبتها للمبتدئين من طلبة العلم، ولغير المتخصصين بالعلوم الشرعية من الدعاة.

وإنك واجد فيها رأي السلف في تِلكم المسائل، من غير عرض لأقوال غيرهم من الفرق، ومن ثم فقد خلت من النقاشات الطويلة، ومحاجّة الخصوم التي امتلأت بها كتب أهل العلم المطوّلة، إلاّ فيما ندر مما يقتضيه المقام.

وإنما كان الأمر كذلك حتى يسهل تناولها، ولا يستعجم على المبتدئ، هذا من جانب، وحتى لا يطول الأمر فيما لا طائل تحته- فيما أرى- من جانب آخر.

وغنيٌ عن الذكر أننا في مثل هذه المصنّفات إنما نتناول ما اصطلح على تسميته بـ "علم العقيدة"، منبهِّين على أن ما يودع هنا من مسائل وتراتيب ليس هو الطريقة التي حصلت بها العقيدة في قلوب أصحاب رسول الله وتابعيهم، إذ لم يتعاملوا مع الإيمان على الطريقة التي صار إليها: "علمُ العقيدة"، وإن كان ثمة نوع تداخل لا يخفى على المتأمل.

فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلَّموا العقيدة من كتاب ربِّهم وكلام نبيهم صلى الله عليه وسلم، وانطلقوا بها؛ متمثلين سلوكياتها العقدية، مبلِّغينها إلى العالمين، مجاهدين في سبيل ذلك منافحين عنها مضحِّين.

فتعلَّموها "إيماناً" و"سلوكاً إيمانياً" منعكساً عما استقر في قلوبهم اعتقاداً متيناً، يحيون عليه، وعليه يموتون.

ثم ظهرت الفرق، ودخلت إلى الساحة الإسلامية الثقافات، فاضطر العلماء لبيان ما أشكل نتيجة ذلك، فصنفت الكتب على ما ذكرت، وبُيِّنَت المسائل وقسمت واستدل لها على الطريقة التي ترى.

وعلى هذا فإن الدعوة إلى تعلُّم العقيدة على الطريقة الأولى، والعيش بها، والبذل لأجلها ولأجل تبليغها والتضحية، هي قوام عودة المسلمين إلى سابق عهدهم من المجد والريادة و"الأستاذية" في هذا العالم.

وهذا الأمر بمعزلٍ -إلى حدٍ كبير- عن واقع كتب "علم العقيدة"، العلم الذي يرصد المسائل ويبحثها ويقررها ويضبطها.

لكن هذا الأخير من الأهيمة كذلك بالمكان المرموق، فإن البناء ينبغي أن يكون على أساس صحيح، وإن الشبهات لا بد أن تدفع ويبيَّن الجواب عنها، وإن رأي السلف في هذه المسائل هو صمّام السلامة في كل ذاك.

وللكتاب هدف، والمستفيدون من مثله فئة من طلبة العلم، لا يسلم إلا أن تتعلَّم وتنظر وتطلِّع.

والله من وراء القصد، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمال الكاتب والقارئ، وأن يغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو سبحانه أرحم الراحمين.

وقبل أن أغادر المقام أتوجَّه بالشكر الجزيل إلى أخي الحبيب الدكتور نذير الصالحي؛ الذي تولى تخريج الأحاديث والعناية بالكتاب في وقت مبكر من كتابته قبل عشر من السنوات تقريبا، فالله يجزيه عني خيرا ويتقبل منه ويتولاه؛ وهو يتولى

الصالحين.

ولن يجد القارئ الكريم كتاباً يخلو من خطأ أو زلّة قلم، أو نبوّ كلمة أو ضعف تركيب، أو عيب آخر لسهو أو علّة، أقول: لن يجد القارئ كتاباً يخلو من ذلك إلاّ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

فإن وجد القارئ شيئاً من ذلك فيما أضعه بين يديه؛ فالعذر العذر، والدعاء بالمغفرة في ظهر الغيب، فما الحامل على كتابة ما تقرأ إلاّ تقصّي الحق، والعلم والتعليم، كما أنني حافل بما يوجّه من ملاحظات لتعديلها فيما يُستقبل من الطبعات إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين

د. رأفت محمد رائف المصري

نسبة القصيدة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية[1]

اختلف أهل العلم في نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ففي الحين الذي فضّل بعضهم نسبتها إليه، نفاها آخرون.

ولا بد من الإشارة إلى أن الخلاف – إن كان في نسبتها إليه – إلا أن الاتفاق على أن ما جاء فيها، وما تضمنته أبياتها من مسائل هو معتقده، الذي بينه في مواضع عديدة من كتبه، وأطال ثمة الشرح والتفصيل.

إلا أن ذلك لا يمنع البحث العلمي المجرد حول صحة هذه النسبة.

فأقول:

أولا: قد نسب هذه القصيدة لشيخ الإسلام عدد من العلماء المحققين، منهم:

١- العلامة نعمان خير الدين، الشهير بابن الألوسي، في كتابه: "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين"، إذ قال:

"اعلم أولا أن عقيدة الشيخ ابن تيمية الموافقة للكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، مستفيضة مفصلة في تصنيفاته... فمنه قوله: يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي.." وساقها إلى آخرها.

٢- الشيخ سليمان بن سحمان في تعليقاته على كتاب: "لوامع الأنوار البهية"، إذ قال:

٣- "وأما ما ذكره في القول السديد في الأبيات التي نسبها لشيخ الإسلام، قدس الله

---

(١) اعتمدت في هذا التمهيد على مصدرين:

الأول: "لامية شيخ الإسلام ابن تيمية"، هاني بن عبد الله بن جبير، بحث منشور في مجلة "الحكمة"، العدد الرابع عشر، ص ٣١٧. الذي مال إلى صحة نسبة هذه القصيدة لابن تيمية – رحمه الله تعالى.

الثاني: "المنظومة اللامية في الأصول الاعتقادية ومعها: التتمة العلمية، علي حسن الحلبي، دار المنهاج، القاهرة، ٢٠٠٤. الذي مال فيما يظهر إلى عدم صحة نسبتها له.

ثم إذا خرجت عنهما إلى غيرهما من المصادر بيّنتُ ذلك في موضعه.

روحه، إن صح النقل بذلك، حيث قال:

وأقول في القرآن ما جاءت به   آياته فهو القديم المنزل... إلخ "اه.

٤- الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد في شرحه على العقيدة الواسطية، المسمى: "التنبيهات السنية"، إذ قال:

"قال الشيخ تقي الدين - رحمه الله - في لاميته المشهورة:

قبحا لمن نبذ القران وراءه   وإذا استدل يقول قال الأخطل... إلخ" اه.

٥- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي - رحمه الله - في كتابه "عقيدة المسلمين"، إذ عزا القصيدة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦- كذلك أحمد بن عبد الله المرداوي، في شرحه على اللامية، المسمى: "اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية"، إذ نسب القصيدة للشيخ، كما يظهر من اسم شرحه على اللامية، وقال - أيضا - في المقدمة ما نصّه:

"لما وقفت على أبيات عديدة، جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف، مفيدة حاوية لأمهات مسائل الاعتقاد، تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله..." اه.[1]

والشرح مطبوع بتعليقات الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ولم يعلق - حفظه الله - على ما ذكره المرداوي، فلعل ذلك منه إقرار على تلك النسبة.

ثانيا: من العلماء من رأى أن نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام لا تصح، من هؤلاء:

١- الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى -، إذ يقول في شرح له على السفارينية في التعقيب على سؤال ورده حول البيت الرابع منها - وهو قول الناظم:

وأقول في القرآن ما جاءت به   آياته فهو القديم المنزل

يقول:

---

(١) اللآلئ البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الله المرداوي، ص٣، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٩٩٦.

"هذه أولا تحتاج إلى إثبات أنها للشيخ الإمام ابن تيمية، وعلى تقدير ثبوتها، فإن هذا لعله في أول طلبه، لأن القول بأنه قديم، هو المشهور عند أكثر الناس، لكن الظاهر أنها لا تصح – أصلا عن الشيخ"[1] اه.

٢- الشيخ بكر أبو زيد؛ حيث ذكرها تحت باب "الكتب المنحولة على شيخ الإسلام"، بدون أي تعليق أو بيان، وذلك في كتابه: "المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية، وما لحقها من أعمال".

ثالثا: من العلماء من توقف في نسبة هذه القصيدة للشيخ – رحمه الله تعالى –، ومن هؤلاء: الشيخ عبد الكريم الخضير، في شرح مفرغ من سلسلة دروس على القصيدة اللامية.[2]

رابعا: لا شكّ أن تفاوت مواقف أهل العلم في صحة نسبة القصيدة اللامية لشيخ الإسلام يشير إلى أن المستند في إثبات أو نفي النسبة للشيخ -يرحمه الله تعالى– ليس قطعيا، فالذين أثبتوا، إنما أثبتوا بغلبة ظن حصلت لديهم في صحة النسبة، والذين نفوا؛ إنما نفوا كذلك بمثلها.

خامسا: من الأدلة التي استدل بها على نسبة القصيدة لابن تيمية:

١ – تلقي العلماء لها بالقبول، واشتهار نسبتها إليه – رحمه الله –.

٢ – أن النسخ المخطوطة جميعها تعنون بنسبة المنظومة إليه، وتختم بذلك، على ما ذكره بعضهم، ولم أطلع على شيء منها.

سادسا: من الأدلة التي استدل بها في عدم نسبتها له:

١ – أن أحدا من تلاميذه ومعاصريه لم ينسب القصيدة إليه، وفيه إشارة واضحة

---

(١) نبهني أخي المفضال الشيخ الدكتور أبو العالية محمد بن يوسف الجوراني إلى أن هذا الكلام الذي أثبتته الطبعة المصرية لشرح الشيخ رحمه الله تعالى لا تثبت عنه، إذ إن الطبعة المعتمدة في مؤسسته رحمه الله لم يرد فيها هذا الكلام، وقد كان من نهج المؤسسة وفقا لوصية الشيخ اعتماد شرحه الأخير دون غيره، وفيه لم يرد هذا الكلام.

(٢) شرح القصيدة اللامية، عبد الكريم الخضير، ص٧، الشرح موجود على موقع صيد الفوائد، "مكتبة صيد الفوائد"، على شبكة الإنترنت.

بأنها ليست له.

وأجيب عن ذلك: بأن اعتبار هذا دليلا قاطعا على نفي النسبة ليس دقيقا، من حيث إن كثرة تصانيف شيخ الإسلام جعلت من الصعب إحصاء كل أعماله العلمية؛ خصوصا في مثل هذه القصيدة القصيرة، التي يظن أن مثلها على قصرها قد يغفله العادّ على كثرة المؤلفات.

ولذلك جاء في كلام الحافظ المتقن ابن رجب – رحمه الله تعالى – ما يشير إلى هذا الاحتمال، حيث قال في سياق الكلام عن مصنفات شيخ الإسلام:

"قد جاوزت حدّ الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها.." – وعدّ منها شيئا، ثم قال:

"وأما القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوى، فلا يمكن الإحاطة بها لكثرتها وانتشارها وتفرقها" .اه.

وهذا الكلام قويّ في ذبّ هذا الدليل.

٢- جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام نفسه كلام مشعر بأنها ليست من كلامه، إذ إنه قال في سياق مناقشته لمسألة كلام الله سبحانه ما نصّه:

"وقد أنشد فيهم المنشد:

قبحا لمن نبذ القران وراءه   فإذا استدل يقول قال الأخطل

...إلخ "اه[1].

ولا شك أن هذا الدليل قويّ لمن قال بنفي النسبة للشيخ.

٣- ورود لفظ "القديم" في البيت الرابع من القصيدة، وهو قوله:

وأقول في القرآن ما جاءت به   آياته فهو القديم المنزل

ووجه الدلالة من ذلك أن لفظ "القديم" من ألفاظ المتكلمين، التي لم يحب شيخ الإسلام ابن تيمية استعمالها، فورودها هنا دليل على أن قائلها غيره.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦/ ٢٩٧.

ويمكن أن يجاب على هذا، بالذي أشار إليه الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – من أن الاحتمال قائم بأن يكون ابن تيمية قد صنف هذه القصيدة في بداية طريقه في الطلب، ويمكن أن يقال كذلك: هو خطأ من الناسخ وتواردت عليه جميع النسخ، ومثل هذا كثير في المخطوطات.

سابعا: بعد هذه الجولة السريعة في استعراض أدلة كل من الطرفين، فإنه يتضح أن هذه الأدلة لا تعطي في النهاية اطمئنانا لتصحيح قول أو ترجيحه – على وجه التأكيد –، فالمسألة تبقى في إطار المحتملات، والله تعالى أعلم بالصواب.

إلا أنه يجدر بي أن أنبه مرة أخرى إلى أن هذا الخلاف في نسبة هذه القصيدة لشيخ الإسلام لا ينقص من القيمة العلمية لها، فإن أهل العلم قد تلقوها بالقبول.

ترجمة – مختصرة – لشيخ الإسلام ابن تيمية

إذا أراد المرء أن يترجم لمن حاله كحال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وقف حائرا مذهولا، إذ يهوله هذا البحر المتلاطم من المآثر والفضائل، التي تدلّ على أن صاحب هذه الترجمة رجل عظيم، قد بلغ من المجد غايته، ومن السؤدد والكرامة ما أحلّه في مصافّ الكبار..

وأمام هذا الحشد العظيم من الثناء والذكر الحسن لشيخ الإسلام، رأيت أن أذكر كلمات في الإشارة إلى ترجمته، ممزوجة بثناء نفر من الأكابر عليه، يصوّر ما لهذا الجبل العلمي من مكانة واحترام في قلوب تلاميذه ومريديه.

ولا بد من الإشارة إلى أن مثل ابن تيمية، غنيٌّ عن التعريف الموجز، كما يقال، إذ لا يكاد أحد يشتغل بالعلم أدنى اشتغال؛ إلا ويعرف شيئا ما عن الشيخ – رحمه الله تعالى – ولما كان الأمر كذلك آثرت أن أركز في هذه العجالة على كلام العلماء فيه، لأن الكلام في حياته ومواقفه، وطلبه، وشيوخه وتلاميذه، وجهاده، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، أمر يطول طولا شديدا، وقد صنفت فيه المصنفات المستقلة للمتقدمين والمتأخرين، والتعرض لمثل ذلك في التقديم لهذا الشرح المختصر؛ لا يليق بالتوازن المطلوب في البحث العلمي.

فأقول – وبالله الاستعانة –:

هو شيخ الإسلام، بحر العلم الزاخر، وجبله الأشمّ، المتفنن الناقد، بقية السلف، وعلم الخلف؛ تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحرّاني.

ولد – رحمه الله تعالى – بحران يوم الاثنين عاشر أو ثاني عشر ربيع الأول، سنة ٦٦١هـ، وسافر به والده مع والدته وإخوته بسبب أوضاع ديار بني بكر وما حولها، إذ استولى التتار عليها، فأهلكوا الحرث والنسل، فوصل الوالد بعائلته إلى دمشق واستوطنوها.

وقد اشتهرت عائلته بالعلم والمكانة، فجده مجد الدين عبد السلام بن عبد الله من العلماء الأعلام، فقيه متفرد ألين له الفقه كما ألين الحديد لداود[1].

أما والده فقد كان إماما كثير الفضائل، متفننا، له معرفة بعلوم كثيرة[2].

وحتى إخوته كانوا أهل علم وفضل، وذكرهم أهل التراجم بالثناء الحسن[3].

وقد سمع الشيخ بدمشق من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وأحمد بن أبي الخير الحداد، والقاسم الأربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن علان، وإبراهيم بن الحرجي، وخلق كثير.

وعنى بالحديث، وسمع "المسند" مرات، والكتب الستة، ومُعجم الطبراني الكبير، وما لا يحصى من الكتب والأجزاء. وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره؛ فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجا، وبرع في ذلك وناظر، وقرأ في العربية أياماً على سليمان بن عبد القوي، ثم أخذ كتاب سيبويه، فتأمله ففهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضا، وأمده الله بكثرة الكَتْب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه[4].

---

(١) هذه الكلمة قالها ابن مالك، صاحب الألفية في النحو، نقلها عنه شيخ الإسلام – رحم الله الجميع – ، كما ورد في معرفة القراء الكبار، الذهبي، ٢/ ٦٥٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٣٠٣.

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٠، ٢/ ٣٨٢، والمقصد الأرشد ٣/ ١٦٣.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٨ وما بعدها.

روى ابن تيمية – رحمه الله تعالى – عن شيوخ كثيرين، وقد خرج لنفسه مشيخة، رواها عنه الذهبي[1]، إلا أن الذي يلاحظ أن شيخ الإسلام لم يكتف بالأخذ عن شيوخ عصره، وإنما اتجه إلى مؤلفات من سبقه من العلماء، فأشبعها اطلاعا وحفظا[2].

وقد تميزت حياة ابن تيمية بالجهاد العظيم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى التنسُّك والإكثار من العبادات[3]، فكان بحقٍّ عالماً عاملاً مجاهداً، فرحمه الله ورضي عنه.

وقد أثنى عليه العلماء ثناء عظيما، فمن ذلك:

ما قاله صاحب "المنهل الصافي":

"برع في علوم الحديث، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ودرس وأفتى، وتصدر للإقراء والإفادة عدة سنين، وفسر وصنف التصانيف المفيدة.

وكان صحيح الذهن ذكيا، إماماً متبحراً في علوم الديانة، موصوفاً بالكرم، مقتصداً في المأكل والملبس، وكان عارفاً بالفقه، واختلافات العلماء، والأصلين[4] والنحو، إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً باللغة، إماماً في المعقول والمنقول، حافظاً للحديث، مميزاً بين صحيحه وسقيمه "[5].

---

(١) طبعت في مجموع الفتاوى ١٨/ ٧٦ - ١٢١.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة. ١/ ١٥٤ – ١٥٥.

(٣) يراجع لهذا كله ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، في كتابه القيم: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ١/ ١٥٨- ١٧٤.

(٤) المقصود بالأصلين: أصول الفقه، وأصول الدين "علم التوحيد" أو العقيدة.

(٥) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ابن تغري بردي، ١/ ٦٨.

وقال عنه ابن رجب الحنبلي في "ذيل طبقات الحنابلة":

"الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد: تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب فعب ذكره، والإسهاب في أمره"[1].

وقال الحافظ الذهبي – رحمه الله – في ترجمته:

"ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام...

وقال:

وعني بالحديث، وخرج وانتقى وبرع في الرجال، وعلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام، وغير ذلك.

وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد والأفراد، ألّف ثلاثمائة مجلدة، وامتحن وأوذي مراراً"[2].

- جاء في الرسالة المستطرفة ما نصه:

"قال الذهبي ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة.

- وقال السخاوي في فتاويه ناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق"[3].

---

(١) (٢/ ٣٨٨).

(٢) طبقات الحفاظ ١/ ٥٢٠ – ٥٢١.

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، ١/ ١٩٣، دار البشائر الإسلامية.

- وقد كتب العلامة قاضى القضاة تقى الدين السبكى إلى الحافظ الذهبى فى أمر الشيخ تقى الدين ابن تيمية:

"فالمملوك يتحقق أن قدره وزخارة بحره وتوسعته فى العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده؛ بلغ من ذلك كل المبلغ الذي يتجاوزه الوصف، والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي أكثر من ذلك وأجل؛ مع ما جمعه الله تعالى من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله فى هذا الزمان بل في أزمان"[1].اه.

- وحكى الذهبى عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد أنه قال له عند اجتماعه به وسماعه لكلامه: "ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثلك"[2].

ومع ذلك فقد امتلأت حياة شيخ الإسلام بالمحن والابتلاءات، بدءا بمحنته بسبب "الحموية" ومناظرته، ومحنته بسبب "الواسطية"، ومحنته بسبب فرق منحرفة من الصوفية، ومحنته بسبب مسألة الطلاق، ثم بسبب فتواه في شدِّ الرحال إلى القبور[3]، وغير ذلك من ألوان الابتلاءات التي مرّ بها رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

جاء في تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي:

"وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة في قاعة معتقلا، ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد، فشهده أمم لا يحصون فحزروا بستين ألفا، ودفن إلى جنب أخيه الإمام شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية رحمهما الله تعالى، ورئيت له منامات حسنة ورثي بعدّة قصائد، وقد انفرد بفتاوي نيل من عرضه لأجلها؛ وهي مغمورة

---

(١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن مفلح، ١/ ١٣٦، مكتبة الرشد.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٣٦.

(٣) كل هذا يحتاج إلى تفصيل، ولكل مسألة من هذه المسائل وغيرها قصة، فليرجع إليها المستزيد في مظانها.

في بحر علمه، فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله، وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك".[1]

(١)١/ ١٤٩٧، دار الكتب العلمية.

متن القصيدة اللامية

يـا سـائلي عـن مـذهبي وعقيـدتي ... رُزِقَ الهُـدى مَـن للهدايـةِ يَسـأَلُ
اسـمعْ كَـلامَ مُحَقّـقٍ في قَولـهِ ... لا يَنثَنـي عَنْـهُ و لا يَتبـدَّلُ
حـبُّ الصَّـحابةِ كُلِّهـم لـي مَـذْهَبٌ ... و مَـوَدَّةُ القربـى بِهـا أتوسَّـلُ
ولكلّهـمْ قَـدْرٌ عَـلا وفَضَـائلُ ... لكنمـا "الصَّـدِّيقُ" مـنهُم أفضـلُ
وأقـولُ في القُـرآنِ مَـا جـاءَتْ بـه ... آياتُـهُ فَهْـوَ القَـديمُ المنْـزَلُ
وَأقُـولُ قـالَ اللهُ جَـلَّ جَلالُـهُ ... والمُصْـطَفى الهَـادِي وَلا أَتـأوَّلُ
وجَميـعُ آيـاتِ الصِّـفاتِ أُمِرُّهـا ... حَقّـاً كَمـا نَقَـلَ الطِّـرازُ الأَوَّلُ
وأَردُّ عُهـدَتَهَا إلـى نُقّالِهـا ... وأَصُـونُها عَـنْ كُـلِّ مَـا يُتَخيَّـلُ
قُبْحـاً لِمَـنْ نَبَـذَ "القُـران" وَرَاءَهُ ... وإذا اسْـتَدَلَّ يَقُـولُ: قـالَ الأَخطـلُ
والمؤْمِنـُونَ يَـرَوْنَ حَقّـاً رَبَّهـمْ ... وإلـى السَّـماءِ بِغَيْـرِ كَيْـفٍ يَنـزِلُ
وأُقِـرُّ بِـالمِيزانِ وَالْحَـوْضِ الَّـذِيْ ... أَرْجـو بـأَنِّي مِنْـهُ رِيّـاً أَنْهـلُ
وكَـذَا الصـراطُ يُمَـدُّ فَـوْقَ جَهَـنَّمٍ ... فَمسَـلَّمٌ نـاجٍ وَآخَـرُ مُهْمَـلُ
و النـارُ يَصْـلاهَا الشَّـقيُّ بِحكمَـةٍ ... وكـذا التَّقـيُّ إلـى الجنـانِ سَـيَدخُلُ
وَلِكُـلِّ حَـيٍّ عَاقِـلٍ في قَبْـرِهِ ... عَمَـلٌ يُقَارِنُـهُ هُنـاكَ ويُسْـأَلُ
هَـذا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِيِّ ومالِـكٍ ... وأبـي حَنيفَـةَ ثـم أحمـدَ يُنْقَـلُ
فـإنِ اتَّبعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَموفَّـقٌ ... وإنِ ابْتَـدعْتَ فمـا عَلَيْـكَ مُعـوَّلُ

البيت الأول

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي   رُزق الهدى مَن للهداية يسألُ

قوله: يا سائلي

يتوجه شيخ الإسلام بهذا النداء إلى سائل وجّه إليه سؤالاً حول مذهبه في الاعتقاد وإيمانه الذي يدين به لله سبحانه وتعالى.

وهذا السّائل إما أن يكون حقيقياً أو يكون وهمياً.

ومعنى الأول:أن يكون هناك من قد وجّه سؤالاً إلى شيخ الإسلام، فنظم الشيخ هذه القصيدة جواباً له على سؤاله.

وكثيراً ما صنف الشيخ شيئاً ما ردّاً على سؤال، فكان جوابه هذا فيما بعد متناً أكبّ عليه العلماء بالشرح والدرس.

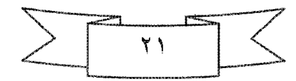
مثل: الرسالة التدّمرية، والواسطية، وغيرهما.

ومعنى الثاني- أقصد أن يكون السّائل وهمياً- أن يكون شيخ الإسلام رحمه الله- افترض سائلاً يسأله حتى يوضح ما يريد.

وهذا الأسلوب - افتراض السؤال والإجابة عليه - ليس بالغريب في كلام أهل العلم، مثله من صنيع المفسرين ما سمي عند الزمخشري صاحب الكشاف ب "الفنقلات"، وهي أن يفترض سؤالاً ويُجيب عليه؛ على طريقة "فإن قلتَ: لمَ قدم كذا ..؟ قلتُ: لكذا وكذا"، ومسائل الحنفية في افتراض السؤال والواقعة من ذلك، كقولهم: "أرأيت إن كان كذا وكذا؟؟"، وسمّوا لأجلها بـ "الأرأيتيين"، وهذا الأسلوب له دواعٍ، منها: إرادة توضيح شيء مما يحسن ذكره؛ حتى وإن لم يسأل عنه أحد، وهذا كصنيع شيخ الإسلام هنا على افتراض هذا الوجه، ومنها غير ذلك.

قوله: مذهبي

هذه الكلمة مصدر ميميّ من(ذهب)، والمعنى:الطريقة التي تسلك في شيء



ما.

ويغلب استعمال هذه الكلمة عند العلماء في المدارس الفقهية، فيقولون مذهب الإمام الشافعي، ومذهب الإمام أحمد، وهكذا.

وتستعمل- أيضاً- في الاختيار العقدي، فنقول: مذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب المرجئة، ومذهب الخوارج وهكذا.

ومقصود شيخ الإسلام بقوله "مذهبي"، أي الاختيار العقدي، لا الاختيار الفقهي، بدليل ما يأتي من القصيدة المنظومة، فإن ما فيها من مسائل إنما هو في العقيدة لا في الفقه.

مسألة: نعلم أن هناك مذاهب فقهية فهل هناك مذاهب عقدية كذلك؟

لاشك في وجود هذه المذاهب العقدية، ويدلّ على ذلك من النصوص: حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود وابن ماجه وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلاّ واحدة)[1].

---

(١) سنن أبي داوود ج٢ ص ٦٠٨ / ٤٣٩٦. كتاب السنة/ باب شرح السنة. قال الألباني: حسن صحيح وفي رواية أخرى للحديث:٤٥٩٧.

- سنن الترمذي: ج٥ ص ٢٥ الحديث: ٢٦٤٠ كتاب المناقب/ باب في فضل الشام واليمن. والحديث: ٢٦٤١.
- سنن ابن ماجه ج٢ ص ١٣٢١ الحديث:٣٩٩١.

كتاب الفتن/ باب افتراق الأمم والأحاديث: ٣٩٩٢ و ٣٩٩٣.

- مسند أحمد ج٢ ص ٣٣٢ والحديث ٨٣٧٧ كتاب مسند المكثرين من الصحابة. باب/ مسند أبي هريرة والأحاديث: ١٢٢٢٩ و ١٢٥٠١ بألفاظ أخرى.
- سنن الدارمي ج٢ ص ٣١٤ الحديث ٢٥١٨ كتاب السير/ باب في افتراق هذه الأمة.

وينبغي التنبّه هنا على أن الجملة الأخيرة من الحديث؛ وهي قوله: "كلها في النار إلا واحدة"، ثار حولها الكثير من الجدل؛ في شذوذها وفي معناها، فليُتنبّه إلى ذلك، وليُرجع إلى المظانّ.

وقد جاء في السّفارنية:[1]

اعلـم هُـديت أنـه جـاء الخـبر عـن النبـي المقتفى خيـر البشـر
بـأن ذي الأمـة سـوف تفـترق بضعاً وسبعين اعتقاداً والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى وصحبه من غير زيغ وجفا

ويدل على ذلك - أيضاً- الواقع، فهو يشهد بوجود هذه الفرق والمذاهب العقدية، منها ما اندثر أو كاد ومنها نراه في واقعنا، كالخوارج والمعتزلة والروافض وغيرهم.

مسألة: ما حكم الاختلاف في مسائل العقيدة؟

مسائل الاعتقاد تنقسم إلى قسمين:

الأصول:

وهذه لا يسوغ فيها الاختلاف، وهو فيها مذموم، إذ عليها ينطبق الحديث المذكور- (تفترق أمتي).

وفيها قول الله سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١].

قال القرطبي-رحمه الله تعالى:

(تأوّله أبو هريرة وعائشة وأبو أُمامة: أنه لأهل القبلة من أهل الأهواء والبدع)[2].

---

(١)للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي،وتسمّى: الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، وعدد أبياتها مائتان وعشرة أبيات/ الجامع للمتون العلمية-ص(٤١١) جمع: عبد الله محمد الشمراني/ دار الوطن للنشر ط١ ٢٠٠٢

(٢)الجامع لأحكام القرآن-ج١٤-ص(٢٢) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي/ دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)ط٥ .١٩٩٦

إلا أنه لا بدَّ من ذكر ضابط مهمّ يتعلّق بهذه المسألة من جانبين:

الأول: أن هؤلاء الذين ذكرنا اختلافهم وتفرّقهم عن الحق من الفرق، إن كان اختلافهم ناتجاً عن تأويل واجتهاد فإنه يمنع من تكفيرهم، فإن العلماء قد بيّنوا أن من موانع تكفير المعيّن التأويل، بأن يؤدّيه اجتهاده إلى هذا القول الذي ضلّ به، ومثله: امتناع الأئمة من تكفير الخوارج والمعتزلة وأضرابهم.

قال شيخ الإسلام:

"لكن المقصود هنا: لا يجعل أحد بمجرّد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها؛ ولو دعا الناس إليها، كافرا في الباطن، إلا إذا كان منافقا، فأما من كان في قلبه الإيمان بالله ورسوله وما جاء به؛ وقد غلط في بعض ما تأوّله من البدع؛ فهذا ليس بكافر أصلا.

والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة مَن يُكفّرهم، لا عليُّ بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع.

وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة؛ من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً؛ بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن، لم يكن كافرا في الباطن، وإن أخطأ في التأويل؛ كائناً ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق، الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار.

ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كلُّ واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملّة؛ فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة..."[1].

ويقول في موضع آخر:

"وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعيَّن، الذي قاله لا يُحكم بكفره، حتى

---

(١) مجموع الفتاوى، ٧/ ٢١٧-٢١٨.

تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص، الموجبة لمعرفة الحقّ، وقد تكون عنده ولم تثبُت عنده، أو لم يتمكّن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الإسلام"[1].

ولا مانع – طبعا – من الإنكار على المخالف هنا، إلا أن الكلام في امتناع التكفير فحسب، فإن هذه التأويلات وإن كانت تنفي عنهم الكفر على الجملة، فلا تمنع من تبديعهم، فالاحتجاج بها لنفي وصف الابتداع عنهم خطأ، وإهدارها ليتمهّد سبيل إلى تكفيرهم خطأ كذلك، فهي على فسادها تقبل في نفي الكفر، ولا تُقبل في نفي الإثم والبدعة.

والدليل على ذلك: اتفاق جمهور أهل العلم على تبديع الفرق الضالة الثنتين والسبعين من ناحية، وعلى عدم إخراج أعيانها من الملّة من ناحية أخرى[2].

والفروع:

أما هذه فيسوغ فيها الاختلاف والاجتهاد، ودليل ذلك اختلاف السلف رضوان الله تعالى عليهم.

ومثال ذلك:

مسألة رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج[3].

فقد نقل عن الصحابة رضي الله عنهم اختلاف فيها على تفصيل ذكره العلماء ليس هذا

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٣/ ٣٤٥-٣٤٦، وانظر: الثوابت والمتغيرات، صلاح الصاوي، ٢٠٨-٢١٥، فإن فيه علما غزيرا، وتفصيلا بديعا يتعلق بهذه المسألة وغيرها.

(٢) الثوابت والمتغيرات، ٢١٣.

(٣) زاد المعاد/ ابن القيم ج٣ ص ٢٣ مكتبة الإيمان المنصورة.

مقام بيانه.[1]

كذلك مسألة تفضيل عثمان على عليّ أو العكس، رضي الله عنهم جميعاً.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - في الواسطية:

"مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعليّ رضي الله عنهما، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر: أيهما أفضل؟ فقدّم قوم عثمان: وسكتوا أو ربّعوا بعليّ، وقدّم قوم علياًّ، وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم عليّ؛ وإن كانت هذه المسألة- مسألة عثمان وعليّ- ليست من الأصول التي يضلّل المخالِف فيها عند جمهور أهل السنة"[2].

ويجري الخلاف ههنا كما يجري في فروع الفقه، من حيث تسويغ الحلاف فيه، فإنه هنا مما لا سبيل إلى القطع فيه، والأدلة فيه ظنيّة تتنازعها الأنظار، وفيه قال الشاطبي رحمه الله تعالى:

"فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملّة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضرّ هذا الاختلاف"[3].

قوله: وعقيدتي

معنى العقيدة في اللغة:

قال ابن فارس:

---

(١) وذكر عدد من العلماء أن الخلاف فيها لفظي.

(٢) العقيدة الواسطية/ شرح (محمد خليل هراس -دار الهجرة -الرياض -السعودية) ط٤ ٢٠٠١

(٣) الاعتصام للشاطبي، ٢/ ١٦٨.

(عقد: العين والقاف والدال أصل واحد، يدلّ على شدٍّ وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها..)[1]

وجاء في المعجم الوسيط:

(العقيدة:الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، والجمع عقائد)[2]

ومن ثمّ فإن العقيدة في اصطلاح العلماء، تطلق ويراد بها معنيان:

الأول: علم العقيدة، وهو الذي يعرفه العلماء بقولهم:

العلم بالأحكام الشرعية العلمية أو العقدية المكتسَب من الأدلة التفصيلية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية[3]

أما الثاني، فإطلاقها مع إرادة:

(الإيمان الذي لا يحتمل النقيض)[4]

أو (الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك)[5]

ويمكننا أن نقول: العقيدة: مجموعة المسائل العلمية التي تتعلق بأركان الإيمان التي وجب التصديق الجازم بها.

وشيخ الإسلام رحمه الله عنى بقوله: (عقيدتي) المعنى المذكور أخيرا، وهو الإيمان الذي لا يحتمل النقيض حول مسائل تتعلق بأركان الإيمان وتوابعها.

---

(١)معجم مقاييس اللغة، ٦٧٩.

(٢) المعجم الوسيط، ٦١٤.

(٣)"بتصرف" انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة[د.إبراهيم البريكان]ص٩/ دار السنة-الخبر-السعودية، ط٤، ١٩٩٦

(٤)المرجع السابق ص٨

(٥)رسالة العقائد (للإمام حسن البنا) ص ٤٢٩ . دار القلم، بيروت.

فكأنه يقول:

يا سائلي عن إيماني الذي أقطع به، وأدين به لله عز وجل؛ الجواب: هو ما يأتي بيانه.

مسألة: ما معنى "الإيمان"؟

الإيمان- لغة- هو التصديق، نقول :آمن به: أي صدّقه[1]

أما الإيمان في الاستعمال الشرعي فزائد على المعنى اللغوي، إذ ليس هو التصديق فحسب، ودليل ذلك النصوص المتكاثرة من القرآن والسنة.

فالإيمان الشرعي حقيقة مركبة من التصديق، وما يلزمه التصديق ولا ينفصم عنه بحال.[2]

قال ابن حجر: (فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان)[3].

"وقد ترجم البخاري" باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس؛ وهو قول وفعل ويزيد وينقص...

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أَعِش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أَمُت فما أنا على صحبتكم بحريص.[4]

وقال ابن تيمية:

"قال الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الأم: كان الإجماع من الصحابة

---

(١)المعجم الوسيط ص٢٨ (وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري / ج١ ص٦٥)

(٢)وقد بسط فضيلة الدكتور سفر الحوالي هذه المسألة بالبحث بما لايدع مجالا للزيادة في كتابه القيم: (ظاهرة الإرجاء). انظر الكتاب المذكور ص ١٢٩ وما بعدها / دار الكلمة ط١ ١٩٩٩

(٣)فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ٦٥ (مكتبة الرسالة الحديثة / الأردن ط١ ١٩٩٧

(٤)صحيح البخاري: ج١، ص٧.
كتاب الإيمان/ باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس.

والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"[1]

وأورد اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[2] نقولات حسنة في بيان حقيقة الإيمان عن أئمة السلف، منها:

قال الحسن البصري: لا يصح القول إلا بالعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة.

وقال سفيان الثوري: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة.

وقال ابن جرير الطبري: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل.اه

وقال السفاريني في الدرة المضية:

إيماننا قول وقصد وعمل　　　تزيده التقوى وينقص بالزلل[3].

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم:

"أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة وأيوب السختياني وإبراهيم النخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم[4].

ونستطيع أن نقول معرّفين الإيمان- عند أهل السنة والجماعة- هو عمل بالقلب،ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

---

(١)مجموع الفتاوى ج٧ / ص٢٠٩ – والإيمان لشيخ الإسلام ص٢٤١.

(٢)انظر الكتاب المذكور ج١ / ص١٥١-١٨٦

(٣)الدرة المضيئة / الجامع للمتون العلمية ص ٤١٨.

(٤)جامع العلوم والحكم، ١/ ١٠٤.

فقولنا: (عملٌ بالقلب) شمل التصديق والخوف والرجاء والمحبة والإخبات والتواضع، وغير ذلك من أعمال القلب.

وهو أشمل وأدق من (اعتقاد بالقلب)، إذ إن هذا لا يشمل سائر عبادات القلب سوى الاعتقاد والتصديق، وقد جاءك البيان أن الإيمان – في استعمال الشرع زائد على هذا المقدار.

وقولنا: (نطق باللسان)، وهو الإقرار بالشهادتين.

وقولنا: (وعمل بالجوارح) تشمل جميع ما تقوم به الجوارح، لأن الإيمان يشمل جميع الطاعات، وعليه؛ فهو أدق من قولهم: (وعمل بالأركان)، لأن الإيمان يشمل العمل بالأركان – أركان الإسلام – وغيرها من العبادات، مما هو طاعة لله رب العالمين.

مسألة: هل الأعمال داخلة في مسمّى الإيمان أو لا؟

أما الأدلة على أن العمل داخل في مسمّى الإيمان فهي كثيرة جدا، وقد صنف شيخ الإسلام -رحمه الله – كتابا مستقلا في مسائل الإيمان باسم (الإيمان) ذكر فيه هذه المسألة واستدل عليها بألوان الأدلة، وقررها حقّ التقرير.

ومما يستدل به في هذا المقام:

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝١٥ ﴾ [سورة السجدة ١٥]. ووجه الدلالة منه:

أنه لم يقل: إذا ذكروا بها أقروا بها فقط،، بل رتب العمل على الذكرى، وسمى ذلك هو الإيمان(١)

ومثله قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾[سورة البقرة ١٢١]

ومن الأدلة– أيضاً– قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾ [سورة البقرة١٤٣].

---

(١)الإيمان–لابن تيمية–ص ٢٤٨

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي:
وفي هذه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.[1]

ووجه ما ذكره الشيخ أن الله سبحانه وتعالى سمّى الصلاة إيماناً فهو جلّ وعلا أطلق الكلّ وهو الإيمان وأراد الجزء وهو الصلاة.

وقال السيوطي في الإكليل: استدل بالآية على أن الإيمان قول وعمل.[2]

ومن الأدلة أيضاً: حديث وفد عبد قيس، وفيه:
(آمركم بالإيمان بالله وحده)، ثم قال: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم)[3].

فالنَّبي ﷺ فسّر الإيمان بأعمال ظاهرة، كما وضح في الحديث، فدل – ولا شكّ على أنها منه.

ومنها حديث الشّعب، الذي رواه الشيخان في حديث عن النبي ﷺ، قال: (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق).[4]

---

(١)تيسير الكريم الرحمن (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) ص٧١ / مؤسسة الرسالة- بيروت-ط١ ٢٠٠١

(٢)الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، ص٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢ ١٩٨٥.

(٣) صحيح البخاري- ج١ ص ٤٥ الحديث:٨٧ كتاب العلم: باب/ تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم. سنن أبي داود ج٢ ص ٦٣ الحديث ٤٦٧٧. كتاب السنة. باب في رد الإرجاء. مسند أحمد ج١ ص ٢٢٨ الحديث ٢٠٢٠ كتاب/ مسند بني هاشم. باب/ مسند عبد الله بن عباس.

(٤) – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم..)، ١/ ١٢، الحديث ٩، بلفظ (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان).
- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، ١/ ٦٣، الحديث ٣٥.
- مسند أحمد ج٢ ص ٤١٤ الحديث: ٩٣٥٠، مسند أبي هريرة. والأحاديث: ٩٧٤٦ و ٩٧٤٧.
- سنن النسائي ج٨ ص ١١٠ الحديث: ٥٠٠٤ كتاب/ الإيمان وشرائعه. باب/ ذكر شعب الإيمان. وحديث: ٥٠٠٥.
- سنن أبي داود ج٢ ص٦٣٠ الحديث: ٤٦٧٦ كتاب/ السنة باب في رد الإرجاء.

وبعد، فالأدلة يصعب حصرها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[1]، ويكفينا ما أوردناه في هذه المسألة، وتفصيلها في مظانها.

فصل:

ومن الإيمان بالله تعالى، الإيمان بوحدانيته: وحدانية ربوبيته، ووحدانية ألوهيته، ووحدانية أسمائه وصفاته سبحانه[2].

أما توحيد الربوبية:

فمعناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء لا رب غيره.

وبيان ذلك أن يقال: إن كلمة: "الرّبّ" في اللُّغة تعني: المالك، المدبّر، الفاعل المطلق، المتصرف الوحيد، النافع الضار، المحيي المميت، صاحب الأمر والنهي والنفوذ[3].

ولا يقال: الربُّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات[4].

والربوبية مصدر يقال في الله ﷻ، والربابة تقال في غيره.[5]

وعليه:

فربوبية الله على خلقه تعني: تفرده ﷻ في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم.

وتوحيده في ربوبيته سبحانه هو: الإقرار بأنه وحده خالق الخلق ومالكهم

---

(١) من الكتب المتميزة ـ مما اطلعت عليه كتاب: نوا قض الإيمان القولية والعملية ـ د. عبد العزيز العبد اللطيف ـ وهي رسالة دكتوراة في الأصل ـ دار الوطن ـ السعودية، وهو كتاب حريّ بطالب العلم أن يقف عليه، بل أن يدرسه، ويعكف عليه حتى يتقنه.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩ وما بعدها.

(٣) انظر المصطلحات الأربعة في القرآن، لأبي الأعلى المودودي ص٣٨ وما بعدها على تفصيل مذكور.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٣٦.

(٥)المرجع السابق ص٣٣٧.

ومحييهم ومُميتهم ونافعهم وضارهم ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق وله الأمر (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)[1]

و بعبارة أخرى: الإقرار بأن الله ﷻ هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق و التدبير والتغيير والتسيير والزيادة و النقص وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه في ذلك أحد سبحانه.[2]

وأما توحيد الألوهية:

فهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا إله غيره ،ومن ثمّ إفراده سبحانه بالعبادة[3].

ومعنى الإله: المألوه، أي المعبود، من أَلَه يأله إلاهة: عبد يعبد عبادة[4].

وهذا النوع من التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[سورة هود الآية ٥]، على لسان كل رسول من رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وتوحيد الألوهية متضمّن نوعي التوحيد الآخَريْن، وهما: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات[5].

وبيانه: أن مَن كان إلهاً مستحقاً للعبادة؛ فهو الربّ الذي له الخلق والأمر وبيده التصرف والفعل، ومن لم يكن كذلك فليس إلهاً يستحق أن يتوجه إليه بالعبادة، وعلى ذلك فتوحيد الرّبوبية أيضاً دليل على توحيد الألوهية ومستلزم له.

وأيضاً، فإن الإله هو الذي يستحق صفات الكمال، فتثبت له، وتنفى عنه

---

(١)انظر: الإيمان.د. محمد نعيم ياسين ص١٠. وانظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الله بن عبد الحميد الأثري ص٤٤ دار الراية- السعودية- ط١ ١٤١٨هـ.

(٢)الإيمان، محمد نعيم ياسين ص١٠.

(٣)الإيمان، محمد نعيم ياسين ص١٤.

(٤)المفردات للراغب الأصفهاني ص٨٢.

(٥)انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص٨٥.

صفات النقص فيسبح وينزه عنها، إذ كيف يعبد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق؟ وكيف يعبد من اتّصف بصفات النقص؟

ويدخل في هذا -ولا شك- الدينونة لله تعالى وحده في الحكم والاتباع، والإيمان بأنه وحده عزَّ وجلَّ يملك حقَّ التشريع والتحليل والتحريم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد أنكر الله تعالى على من زعم الإيمان مع إرادته الاحتكام إلى غير شريعته فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ [النساء: ٦٠].

بل لا بد فوق الاحتكام من الرضى والتسليم عن طيب خاطر بحكم الله تعالى وحكم رسوله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥].

وهذا ما سماه الأستاذ سيد قطب رحمه الله: بالحاكمية، وامتلأت كتبه بالدعوة إلى هذا التوحيد والتنبيه على أنه لا إسلام ولا إيمان ما لم يتحقق العبد بالإيمان بحاكمية الله، والتسليم له في ذلك واتباع شرعه دون سواه.

وإن من تمام الألوهية ومقتضيات الربوبية ولوازمها، امتلاك الحق في التشريع والتحليل والتحريم، كما دلَّ عليه الحديث الذي فيه مقدم عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ، إذ دخل عليه وهو يقرأ قول الله تعالى من سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرَّموه"[1].

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ

(١) أخرجه الترمذي في السند برقم (٣٠٩٥) ٥٠/ ٢٧٨، قال الألباني: حسن، والبيهقي في الكبرى برقم (٢٠١٣٧) ١٠/ ١١٦، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٤٩٣٦) ٧/ ١٥٦.

ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

ولم يكن هذا مما اختصّ به الإسلام ولا شريعة سيد الأنام ﷺ، بل إن إيجاب الحكم بما أنزله الله من شريعة كلّ الأنبياء، ومن صميم دينهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ثم إنه بعد أن أمرهم بهذا فيما أعلم به في سورة المائدة أتبعه بأمر النبي ﷺ به، فقال: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى آمراً نبيّه داود عليه السلام بذلك: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

وقد دلّت الآية الكريمة على إلزام ولاة أمور المسلمين أن يحكموا بالحق بين الناس، والحكم بالحق هو الحكم بما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز، وسنة نبيّه ﷺ، ولا يعدلوا عن ذلك فيضلوا عن سبيل الله. وليعلم ولاة الأمور أن الله تعالى حذّر نبيّه داود عليه السلام من الحَيدة عنالحكم بالحق وعن اتباع هوى النفس في حكمه بين الناس في سياسته لهم، وتوعّده إن فعل ذلك، فهم أي ولاة الأمور أولى بهذا التحذير من داود عليه السلام[1].

(١) عبدالكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، ١/ ٤٠٩.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسره هذه الآية:

الوصية من الله عزَّ وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنَّزل من عنده تبارك وتعالى ولا يحيدوا عنه، فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعَّد الله من ضلَّ عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والحساب الشديد[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، فانظر إلى أنه سبحانه قد حكم ابتداء بأن حق الحكم والتشريع منحصرٌ به جلَّ وعز، وجعل ذلك من تمام عبادته، فكما أنه المعبود وحده فهو الحاكم وحده، إذ هذه من تلك، ثم إنه وصف هذا المجموع من التوحيد بأنه الدين القيِّم الذي لا اعوجاج فيه.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، والملاحظ هنا أنه علق الإيمان على التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ، جعل ذلك خيراً وأحسن تأويلاً.

ومَن من المتشرّعين الوضعيين الردّ إليه خيرٌ وأحسن تأويلاً من الله ورسوله حتى نردّ إليه ما تنازعنا فيه[2]؟

ومثل ذلك ومما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، حيث كذّب الله تبارك وتعالى مدّعي الإيمان في دعواه إذ يتحاكمُ إلى الطاغوت، وجعل دعواه الإيمان مع إرادته التحاكم إلى الطاغوت مما يُعجب له، (ألم تر؟) إذ الاستفهام تعجبيٌّ إنكاريّ[3].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٤٣.

(٢) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبدالعزيز مصطفى كامل، ١/ ٦٦.

(٣) انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٣/ ٢٩٢.

والمعنى: كيف يستقيم اجتماع إيمان بالله وتسليم بألوهيته وربوبيته مع إسناد الألوهية -بالتحاكم- إلى غيره وهو روح الكفر وحقيقته؟

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله الحكم المشتمل على كل الخير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وكثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير(١).

وانظر حفظك الله ورعاك إلى إنكاره الشديد على من ذهب بالتحليل والتحريم بعيداً عن شرع الله وتنزيله، فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، قال صاحب

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٠.

المنار:

هاتان الآيتان في إقامة الحُجَّة على مُنكري الوحي من المشركين بفعلٍ من أفعالهم لا ينكرونه ولا يجادلون فيه، تعزيزاً لما تقدَّم من أنواع الحجج العَقليَّة في التحريم والتحليل هو حق الله تعالى وحدهُ.

وقاعدة كَونِ الأصل في الأرزاق وسائر الأشياء التي ينتفع بها الخَلقُ الإباحة، وقاعدة كون انتحال العبيد حقَّ التشريع الخاصِّ بربِّهم افتراءً عليه وكفراً به، يستحقُّ فاعلوه أشدَّ عقابه(١).

كما أنه لا شك في أن تنحية الشريعة الإسلامية المنزَّلة، وإحلال ما أنتجته عقول البشر مكانها في مقام الحكم والتحاكم من أعظم الذنوب، وأغلظ العيوب.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

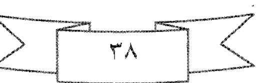
وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧].

وفي هذه الآيات البينات حكم الله تعالى على من حكَّم غير شريعته بأوصافٍ ثلاثة:

- أولاها: الكفر، وذلك بالنظر إلى أنه منازعة لله سبحانه في الألوهية وهي حقَّ التشريع والتحليل والتحريم والأمر والنهي.
- وثانيها: الظلم، وذلك من حث أنه وضعٌ للربوبية والألوهية ي غير موضعها الحقيق بها من جهة.
- ومن جهة أخرى هو اعتداء على حق المجتمع والناس في إقامة حكم الله فيهم، وهو الحكم العدل، والميزان القسط، منبع الخير، ومنَّة الهدى والصلاح، وانتقاص بهذا من حقوقهم، وذلك أن الظلم في اللغة يطلق في الأصل على هذا كله، قال الراغب في المفردات:

---

(١) المنار: محمد رشيد رضا، ١١/ ٣٤٦.



والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة..[1].

- وثالثها: الفسق، من حيث أنه خروج عن الصراط المستقيم، وعدولٌ عن الطريق السويّ!.

قال ابن حزم رحمه الله فيمن حكَّم الإنجيل: لا خلاف بين اثنين من المسلمين أن هذا منسوخ –يقصد إيجاب الحكم بالإنجيل في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧] – وأن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحيٌ في شريعة الإسلام فإنه كافرٌ مشركٌ خارجٌ عن الإسلام[2].

هذا، والكلام إنما هو في تحكيم الإنجيل، وهو في الأصل كتاب سماويٌ نُسخَ العمل بما فيه بالقرآن، فكيف بغيره من الشرائع الوضعية والقوانين الشرقية والغربية!

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه[3] عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيهوديٍّ محمماً[4] مجلوداً، فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، ٥٣٧.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ٥/ ٧٧.
(٣) صحيح مسلم، رقم (١٧٠٠)، ٣/ ١٣٢٧، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، كتاب الحدود.
(٤) محمماً: أي مسود الوجه من الحممة، أي الفحمة، وجمعها: حُمَمٌ، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٢٧.

أقمنا عليه الحَدّ، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم، إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]. يقول: ائتوا محمداً، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، في الكفار كلها.

قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما: ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن، وجحداً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر.

وقال ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له، وأما من فعل ذلك وهومعتقداً أنه راكب محرم فهو من فساق المسلمين(١).

وهذا النصُّ في الاستحلال إنما هو فيمن حكَّم غير شريعة الله تعالى في

(١) القرطبي ٦/ ١٩٠.

المسألة والمسألتين، أما من نحَّى مجمل الشريعة، وألقاها وراء ظهره، وأتى بشريعة أخرى فأحلها مكانها، كما هو الياسق؛ الذي ورد في كلام ابن كثير، أو حكَّم الإنجيل بَدَلَه -مثلاً- كما في كلام ابن حزم؛ فهذا أمر آخر، وقد جاءك من كلام الإمامين ما يدلُ عليه، وما يوجب الانصراف إليه.

وقد أناط المولى تبارك وتعالى بتحكيم الشريعة وإقامة الميزان الرباني، فتح أبواب الخير على العباد، وإغداقهم بالنعم والعطايا، قال عزَّ من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وقال عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن الكلام في هذا يمتدّ، والمقصود التنبيه عليه بالحد الذي يحسن أن تفتتح به المسألة، وإلا فقد صنفت الكتب الكاملة والرسائل الضخمة في بيان هذا الجزء(١).

وقد قال الله تعالى موجباً على نبيّه الحكم بما أنزله، وناهياً عن اتباع أهواء البشر في الحكم بغير شريعته:

أما توحيد الأسماء والصفات:

فمعناه: الاعتقاد الجازم بأن لله عز وجل الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فهو متّصفٌ بجميع صفات الكمال، مُنزّه عن جميع صفات النقص، مخالف بذلك جميع المخلوقات(٢).

---

(١) انظر مثلاً: كتاب: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبدالعزيز مصطفى كامل، وهو عبارة عن رسالة جامعية متميزة، طبعت في مجلدين، تناول صاحبها الموضوع على أجود ما يكون، فجزاه الله خيراً، ونفع بعلمه.

(٢) الوجيز للأثري ص٤٨.

ويستلزم هذا النوع من التوحيد: إثبات ما أثبته الله سبحانه لنفسه، وأثبته له رسول ﷺ على الحقيقة اللائقة بجلال ذاته الجليلة سبحانه، على منهج السلف الآتي ذكره في الأبيات القادمة .

قوله: رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ

هذا عجز البيت الأول، وهو خبر أو دعاء.

فعلى إرادة الخبر، يكون المعنى: الإخبار بأن السائل بغرض الوصول إلى الحق والهدى فلا بدّ أن يصل إليه.

وعلى إرادة الدّعاء، يكون المعنى: أنني أدعو للسائل بغرض الهدى أن ينال مبتغاه، وهو إصابة الحقّ.

وفيه فائدة، وهي الإشارة إلى أن السَّائل له حالان:

فهو إما أن يسأل قاصداً الوصول إلى الحق والهدى، فهذا سؤال محمود مطلوب.

قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]

وقول النبي ﷺ: (إنما شفاء العِيِّ السؤالُ)[1].

أو أن يسأل هذا السائل لغرض آخر غير مشروع، مثل: الرياء، والمراء الذي لا طائل تحته، أو السؤال الذي لا فائدة فيه، أو المسائل العويصة، وما أشبه ذلك، فهذا مذموم منهي عنه، وفيه:

قول الله سبحانه: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [سورة الكهف٢٢].

وقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وحديث النبي ﷺ: (إن الله كرَّه لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)[2]

---

(١) سنن أبي داود: ج١ ص ١٤٥ الحديث: ٣٣٦.كتاب الطهارة/ باب في المجروح يتيمم قال الشيخ الألباني: حسن دون قوله: إنما كان يكفيه. والحديث ٣٣٧.

- مسند أحمد: ج١ ص ٣٣٠ الحديث: ٣٠٥٧. مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن عباس.
- سنن الدارمي: ج١ ص ٢١٠ الحديث: ٧٥٢.كتاب: الطهارة/ باب: المجروح تصيبه الجنابة.

البيت الثاني

اسمعْ كَلامَ مُحَقّقٍ في قَولِهِ   لا يَنْثَني عَنْه ولا يَتبدَّلُ

يخاطب شيخ الإسلام رحمه الله سائله أن يستمع إلى ما سيلقيه إليه من مسائل الاعتقاد، متبعا ذلك بوصف نفسه بالتحقيق في أقواله آتية الذكر، ويؤكد ثباته عليها، وأنه لا يبدّلها ولا يغيرّها، كيف؟ وهي منهاج السلف! المستمد من فهمهم النيرِّ لكتاب الله، واقتدائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم! كيف يحيد عنها بعد إذ عرف أنها الصّواب والحق: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].؟

أيتركها لآراء الناس وعقولهم وأهوائهم؟ أيترك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى فلسفة اليونان الإغريق ومسلّماتهم؟

العلم قال الله قال رسوله   إن صح والإجماع فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة   بين الرسول وبين رأي فقيه(١)

وقد يقول قائل: أليس مثل هذا الكلام يشبه الثناء على النفس ومدحها بالجميل، وتزكيتها؟ وهذا منهي عنه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء ٤].

أقول في الجواب عليه:

الثناء على النفس بما جاءها من العلم في مثل هذه مواضع، ليس ممّا نهى عنه الشرع، بل هو مطلوب؛ إذ إنه وسيلة يتوصّل بها إلى هداية المخاطب.

---

(١) من شعر الإمام الذهبي رحمه الله، كما نسبه بعض المتأخرين إليه، وجدت البيت في فهرس الفهارس للكتاني ج٢ ص٤١٩، "وفي إثباته له نظر، وقد نسبه غير واحد إليه من المتأخرين، ولم أظفر بهذه النسبة من كلامه أو من كلام أحد من المتقدمين" أفاده الدكتور أبو العالية محمد الجوراني، انظر: تحقيقه لرسالة "مقام الرشاد"، ص٤٧.

أما رأيت يوسف عليه السلام حينما وجَّه إليه الفتيان في السّجن سؤاليهما حول رُؤييهما؟ لقد بدأ يوسف عليه السلام بوصف نفسه بالعلم، وهو إذ يصفها بما وصفها به لم يكن بصدد الإيحاء بمكانته العلمية في تأويل الأحلام أو في غير ذلك من التوافه الدنية، بل كان يتوسل من خلاله إلى هدايتهما[1].

وكذلك إبراهيم عليه السلام، إذ يقول لأبيه أثناء دعوته له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم: ٤٣].

فهو عليه السلام لم يردْ تزكية نفسه، بوصفها بالعلم، بل لمَّا أراد أن يدعو أباه؛ قدّم له بما من شأنه أن يطمئنه إلى أنه قد جاءه من العلم عن الله جل جلاله ما يبرّر وجوب اتباعه، وكذلك جاء الكلام في قصيدتنا هذه والله أعلم.

(١) انظر: شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني ص٥١. رأفت المصري - رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية.

البيت الثالث

حبُّ الصَّحابةِ كُلّهم لي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ القُربى بِها أتوسَّلُ

الصّحابي هو من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلامه أي الراوي وإن لم تطلْ صحبته له، وإن لم يروِ عنه شيئاً[1].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى في نخبة الفكر: "هو من لقي النبيّ صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلّلت ردّة في الأصحّ"[2].

وهذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً، وممن نصّ على أن مجرد الرؤية كافٍ في إطلاق الصُّحبة:

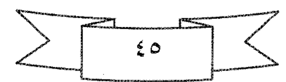
البخاري، وأبو زرعة، وغير واحد ممن صنف في أسماء الصحابة؛ كابن عبد البر وابن مَنْده، وأبي موسى المديني وابن الأثير في كتابه: "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، قال ابن كثير: وهو أجمعها وأكثرها فوائد وأوسعها، أثابهم الله أجمعين[3].

وهذا البيت يبدأ شيخ الإسلام فيه بذكر اعتقاده، مستفتحاً بمسألة الصحابة، ومن الجدير بالذكر أن هذا الموضوع ما خلا منه كتاب من كتب الاعتقاد عند أهل السنة، مثل: شرح أُصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة لعبد الله بن أحمد ابن حنبل، والإبانة الكبرى لابن بطة، والطحاوية،

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير/ تأليف أحمد شاكر ص١٧٤.

(٢) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، الحافظ ابن حجر العسقلاني، جامع المتون العلمية، ٤٣٦.

(٣) انظر المرجع السابق ص١٧٤. جاء كتاب ابن حجر "الإصابة في معرفة الصحابة" بعد ابن كثير الذي تكلم بهذا الكلام، وكتاب ابن حجر هذا أفضل وأوعب وأوسع.



والواسطية، وغير ذلك كله.

يقول شيخ الإسلام في الواسطية:

(من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ)[1].

وقال صاحب العقيدة الطحاوية:

(ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[2].

وجاء في الدرة المضيئة:

وليس في الأمة كالصحابة في الفضل والمعروف والإصابة
فإنهم قد شاهدوا المختارا وعاينوا الأسرار و الأنوارا
وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الأديانا
واحذر من الخوض الذي قد يُزري بفضلهم مما جرى لو تدري
فإنه عن اجتهاد قد صدر فاسلم أذل اللهُ من لهمْ هجرْ[3]

والأدلة على عدالتهم من الكتاب والسنة كثيرة ﷺ، ويكفيهم أن الله ﷻ قد اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ولنصرته، ورفع رايته، ونشر شريعته، فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) العقيدة الواسطية شرح محمد خليل هراس / ص٢٧١.

(٢) العقيدة الطحاوية شرح ابن أبي العز ص ٤٦٧. المكتب الإسلامي - بيروت.

(٣) الدرة المضية للسفاريني / الجامع للمتون العلمية ص٤٢٤.

ومن الأدلة على ذلك:[1]

- قول الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[سورة الفتح ١٨].

قال جابر بن عبد الله م: كنا ألفاً وأربعمائة[2].

قال ابن حزم:

(فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم، فلا يحلُّ لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة)[3].

- وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[سورة الفتح ٢٩].

قال ابن الجوزي:

(وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور)[4].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة في الصحابة / د. محمد بن عبد الله الوهيبي ص٩ وما بعدها سلسلة تصدر عن مجلة البيان.

(٢) صحيح البخاري/ ج٤ ص ١٥٢٦ الحديث رقم: ٣٩٢٣ كتاب المغازي – باب غزوة الحديبية.

(٣) الفصل في الملل والنحل ٤/ ١٤٨.

(٤) زاد المسير، ١١٨٣.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾[سورة الحشر٨-١٠].

والآيات واضحة الدَّلالة في الثناء على الصحابة ﷺ مهاجرين وأنصار؟ حتى إنه جلّ شأنه جعل وجه مدح الذين جاؤوا من بعدهم أنهم يستغفرون لهم، ويسألونه ﷻ سلامة الصدر عليهم.

- وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[سورة التوبة ١٠٠]وغير ذلك من الآيات الدّالة على فضلهم ومكانتهم.

- وقد روى الشيخان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه)[1].

- وروى الشيخان أيضاً عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم) قال عمران: فلا أدري، أذكر بعد قرنين أو ثلاثاً[2].

---

(١) - البخاري ج٣ ص ١٣٤٣ الحديث رقم ٣٤٧٠

- كتاب فضائل الصحابة/ قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً.

- صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٦٧ الحديث: ٢٥٤٠.

كتاب/ الشهادات/ باب: القرعة في المشكلات.

(٢)صحيح البخاري، ٣/ ١٣٣٥، الحديث ٣٤٥٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ٤/ ١٩٦٤، الحديث ٢٥٣٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

- وروى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهلَ السماء ما يوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[1].

وغير ذلك كثير، ومنه ما هو فضائل بعضهم، كالأنصار وأهل بدر وآحادهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ويسّر لنا الاقتداء بهم، علماً وعملاً.

---

(١) - مسلم ج٤ ص ١٩٦١ الحديث ٢٥٣١ كتاب فضائل الصحابة. باب/ بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة.

- مسند أحمد ج٤ ص ٣٩٨ الحديث ١٩٥٨٤ كتاب/ سنن الكوفي باب/ حديث: موسى الأشعري.

قوله: ومودة القربى بها أتوسل

قال الشيخ رحمه الله في الواسطية:

"ويحبون- يعني أهل السنة- آل بيت رسول الله ﷺ، ويتولَّونهم ويحفظون فيهم وصيّة رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خمّ: (أذكركم الله في أهل بيتي)[1]، وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم؛ لله ولقرابتي)[2].

وقالﷺ: (إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[3] ...."[4] اه.

وقربى النبي ﷺ، قد اختلف فيهم: من هم؟ على أقوال عدة[5]، حاصلها:

أنهم أزواجه ﷺ، ومن تحرم عليهم الصدقة من قرابته وهم آل عليّ، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم.

وألحق بعضهم بهم بني المطلب، لقوله ﷺ: (إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا

---

(١) – مسلم ج٤ ص ١٨٧٣ الحديث ٢٤٠٨. كتاب فضائل الصحابة/ باب: من فضائل علي.

(٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. مسند أحمد: ج١ ص ٢٠٧ الحديث: ١٧٧٧ مسند بني هاشم/ حديث العباس بن عبد المطلب.

(٣) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

سنن الترمذي ج٥ ص ٥٨٣ الحديث ٣٦٠٥

كتاب المناقب/ باب فضل النبي (صلى الله عليه وسلم).

(٤) العقيدة الواسطية، الجامع للمتون العلمية، ٢٣٤.

(٥) انظر تفصيل المسألة في: تفسير البغوي ج٤ ص١٤٤ / دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٢، ٢٠٠٢، وتفسير ابن كثير ج٣ ص، وفتح الباري ج٣ ص٢٢٧، ونيل الأوطار ج٤ ص١٨٢، والشرح الممتع للعثيمين ج٦ ص٢٥٥، وفقه الزكاة للقرضاوي ج٢ ص٢٠٩، وشرح الواسطية للهراس ص٢٨٠

إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك بين أصابعه)[1]

وأخرج بعضهم بني المطلب من آل بيت النبي ﷺ، وقالوا: إنما يَجب لهم الخمس من الغنائم للعلة المذكورة في الحديث، وهي نصرة النبي ﷺ، وليس لأنهم من آل بيته ﷺ، وفي المسألة كلام كثير، يُرجع فيه إلى مظانّه، والله أعلم بالصواب.

والحاصل أنَّ مودة ذوي قربى النبي ﷺ قربة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وكذا الإحسان إليهم وثمة مسألة يشير إليها شيخ الإسلام بطريق الإشارة لا التصريح وهي مسألة التوسُّل بالأعمال الصالحة.

وذلكم أنه جعل مودة القربى عملاً صالحاً، يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى.

وهذا يقودنا إلى الكلام حول **مسألة التوسُّل**.

وهي أن يقول الداعي في دعائه: بحق نبيك أو بحق فلان، أو أن يقسم على الله بأحد من مخلوقاته.

فالقسم على الله بأحد مخلوقاته، كأن يقول: اللهم أقسم بحق فلان عليك أو اللهم بحق فلان؛ يقصد به القسم، ففيه محذوران:

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً.

---

(١) – مسند أحمد: ج٤ ص ٨١ الحديث: ١٦٧٨٧ سنن المدينة/ حديث جبر بن مطعم. وسنن النسائي: ج٧ ص ١٣٠ الحديث ٤١٣٧ كتاب/ قسم الفيء، قال الألباني: حسن صحيح. وسنن البيهقي، ٧/ ٣٦٥، كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية. وروى البخاري الجزء الأخير من الحديث: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد". ٤/ ١٥٤٥ الحديث: ٣٩٨٩ كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر. وانظر: صحيح مسلم: ٣/ ١٦١ الحديث: ٢٩٧٨. كتاب الخراج والفني والإمارة/ باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق، إلا ما أحقه على نفسه[1].

وأما أن يقول: بحق نبيك، أو بجاهه ﷺ، أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك؛ ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا!! فهو أيضاً محذور، ووجه ذلك أنه لم يَردْ في القرآن أبداً على كثرة ما فيه من دعاء، وإشارات إلى آدابه، ولم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم.

ولا يقول أحد إنه خير سبقناهم إليه، لأنه لو كان خيراً لبادروا إليه ولاغتنموه، فهم أهل الصلاة والدّعاء والتوسل والضراعة.

وقد ذكر في هذا المقام دليلان، استدل بهما القائلون بالجواز، **الأول**: حديث الاستسقاء، وفيه أن عمر رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون قال: (اللهم إنا كنا إذا أُجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا)[2].

وأجاب عنه العلماء، بأن المراد: بدعائه، وليس أننا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مباحاً، لكان جاه النبي أعظم من جاه العباس[3]، ولَمَا توسلوا إلى الله بالعباس بل توسلوا إليه بنبيه ﷺ، فلما تركوا ذلك مع الحاجة دلّ على أن المراد: إنا كنا نتوسل إليك بدعاء النبي ﷺ، فلما مات، صرنا نتوسل إليك بدعاء

---

(١) شرح الطحاوية- لابن أبي العز، ص ٢٣٦، ط٩. المكتب الإسلامي- بيروت.

(٢) - صحيح البخاري: ج١ ص ٣٤٢ الحديث ٩٦٤.

كتاب/ الاستسقاء. باب/ سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا أقحطوا. وكذلك ٣/ ١٣٦٠ الحديث: ٣٥٠٧. كتاب/ فضائل الصحابة/ باب ذكر العباس.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٣٧.

عمه ﷺ، وهذا ظاهر.

أما الثاني: فما روي عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال النبي ﷺ: (إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك)، قال: فادعه، قال فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفعه فيّ) وفي رواية: (وشفعني فيه)[1]، قال: ففعل الرجل فبرأ[2].

أجاب العلماء عن الاستدلال بهذا الحديث بأن قالوا: إن قوله: (وشفعني فيه) دليل على أن المراد بالشفاعة هو طلب الدعاء وليس التشفع بالذات، و إلا فكيف يكون الرجل الضرير شفيعاً للنبي ﷺ؟؟ فعُلم أن المراد هو الدعاء، أي اللهم اقبل دعاء النبي ﷺ فيّ، واقبل دعائي فيه، وهذا المعنى يدل عليه بوضوح أوّلُ الحديث: (إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ)[3].

---

(١) – مسند أحمد: ج٤ ص ١٣٨ الحديث: ١٧٢٨٠ .حديث عثمان بن حنيف. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

– المستدرك على الصحيحين، من كتاب صلاة التطوع، ١/ ٤٨٥، الحديث: ١١٨٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٣٨، الحديث ١٧٢٨٠.

(٣) تهذيب شرح العقيدة الطحاوية عبد المنعم حليمة ص١٥٢ دار البيارق بيروت ط١ ١٩٩٧، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ١٠/ ٢٧، دار الكتب العلمية، فإنه يرى رأيا آخر مفاده: أن التوسل بالنبي ﷺ في حياته جائز لحديث الضرير، والتوسل به بعد موته ممنوع لحديث عمر الأول، وهو رأي فيه نوع قوّة، إلا أن المرجّح ما في متن الكتاب، والمسألة محل خلاف، فالله أعلم بالصواب.

قال صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:

(وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به ﷺ، بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: (يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا)[1].

وأما الميت، فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك من المواطن.

وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دلّ الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [سورة فاطر ١٣-١٤].

فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعوّ يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحقاف ٦]، فكل ميت أو غائب لا يسمع[2] ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضرّ.

والصحابة رضي الله عنهم لاسيما أهل السوابق منهم، كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب؛ كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي ﷺ،

---

(١) مسند أحمد ج٢ ص ٥٩ الحديث: ٥٢٢٩، مسند عبد الله بن عمر، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف عاصم بن عبد الله.

(٢) هذا كلام صاحب فتح المجيد، وفي إطلاقه هذا فيما يخصُّ سمع الأموات نظر، فليُتأمَّل.

فأمره أن يستسقي لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر ﷺ والسابقون الأوّلون بالنبي ﷺ.

وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت، لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضراً، إذ إنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم، فمن تعدّى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل.

ولو كان دعاء الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا؛ ومن تركه واعتمد على عقله هلك، وبالله التوفيق)(١).اه.

أما الذي جاء في كلام شيخ الإسلام من التوسل، فهو نوع آخر غير الذي ذكرته الآن، وهو التوسل بالأعمال الصالحة ومنها مودة ذوي قربى النبي ﷺ، وهذا النوع من التوسل لا خلاف في جوازه وهو من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع(٢).

ودليل جوازه حديث الثلاثة الذين أوَوا إلى الغار، فإن الصخرة انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم.

رَوَى البخاري رحمه الله عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في جبل فانحطَّت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه. فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص٤٨٨/ دار المنارة القاهرة. وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٢٧٤، ٢/ ٢٩٤. وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٧٠٩.

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٣٨ ط١ . المكتب الإسلامي - بيروت.

كبيران فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلُب، فأجيء بالحِلاب فآتي به أبويّ فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتُبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلَيّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشّد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائةِ دينار، فسعيت فيها جمعتها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيراً بفرقٍ من ذرة، فأعطيته وأبى ذلك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفَرَق فزرعته حتى اشتريت منه بقراً ورعيتها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك. فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم). (١)

وقد صنف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مصنفاً أفرد فيه مسائل التوسل والشفاعة بالذكر، سمّاه " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" فصّل فيها كثيراً من المسائل و أدلتها، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٧١ – الحديث ٢١٠٢. كتاب البيوع/ باب/ إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه.

- وانظر أيضاً في البخاري ٢/ ٨٢١. الحديث ٢٢٠٨. كتاب المزارعة: باب/ إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم في ذلك صلاح لهم.

البيت الرابع

ولكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وفَضَائـــل لكنَّما "الصَّدِّيقُ" منهم أفضل[1]

قوله: (لكلهم قدر علا و فضائل).

بعد أن أشار شيخ الإسلام إلى أن حبّ الصّحابة من دعائم اعتقاد أهل السنة، يذكر هنا أن لهم فضائل وميّزات فُضّلوا على من سواهم بها.

قلت: وأوّل فضائلهم مصاحبتهم لرسول الله ﷺ وهذا شرف لا يدانيه شرف.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

(وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[2]

وقال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال)[3]

ونقل الحافظ ابن حجر عن الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ؛ أما من اتفق له الذب والسبق إليه بالهجرة أو النصرة أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة إلا والذي سبق بها له مثل أجر من عمل بها من بعده[4].

هذا، وقد اختص كثير منهم بفضائل خاصّة دلت على علوّ أقدارهم، وعظيم

---

(١)جاء الشطر الأول في بعض النسخ (ولكلهم قدر وفضل ساطع) انظر: جامع المتون العلمية.

(٢)شرح صحيح مسلم للنووي ج١٦ ص٩٣.

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٦٠، دار طيبة.

(٤)انظر فتح الباري ٧/ ٧، وانظر: اعتقاد أهل السنة في الصحابة، الوهيبي ص٣٢.

أفضالهم، ونجد في كتب المحدثين أقساما خاصة بجمع مثل هذه الأحاديث، تسمى كتب المناقب، كما في صحيحي البخاري ومسلم.

ومما جاء عن النبي ﷺ في ذلك:

- ما جاء في فضل أهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1].
- وما جاء في فضل أهل بيعة الرضوان: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها)[2].
- وما جاء في العشرة المبشرين بالجنة.
- ومثل عكاشة بن محصن[3]، وأبيّ بن كعب، وآل ياسر، وغيرهم رضي الله

---

(١) صحيح البخاري: ج٣ ص ١٠٩٥ الحديث: ٢٨٤٥ كتاب/ الجهاد والسير/ باب الجاسوس. والأحاديث: ٦٥٤٠و ٥٩٠٤و ٤٦٠٨ و ٤٠٢٥و٣٧٦٢و ٢٩١٥.

- صحيح مسلم: ج٤ ص ١٩٤١ الحديث: ٢٤٩٤ كتاب/ فضائل الصحابة. باب/ فضائل أهل البدر.
- سنن أبي داود ج٢ ص ٥٤ الحديث: ٢٦٥٠- كتاب الجهاد/ باب/ حكم الجاسوس: أن كان مسلماً/ الحديث ٤٦٥٤.
- مسند أحمد ج١ ص ٧٩ الحديث: ٦٠٠ - كتاب/ مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب مسند على أبي طالب والأحاديث: ٣٠٦٣ و ٥٨٧٨و١٤٨١٦.
- سنن الدرامي: ج٢ ص٤٠٤ الحديث: ٢٧٦١. كتاب/ كتاب المناقب- باب/ في فضل أهل بدر.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٤٣ الحديث ٢٤٩٦ كتاب/ فضائل الصحابة/ باب فضل أصحاب الشجرة.

- سنن أبي داود ج٢ ص ٦٣٤ الحديث: ٤٦٥٣ كتاب السنة/ باب في الخلفاء.
- سنن الترمذي ج٥ ص ٦٩٥ الحديث: ٣٨٦٠ كتاب المناقب/ باب فضل من بايع تحت الشجرة.
- مسند أحمد ج٣ ص ٣٥٠ الحديث: ١٤٨٢٠، مسند جابر بن عبد الله، والحديث: ٢٧٤٠٢.

(٣) حديث عكاشة: ما جاء في الحديث أنه قال: "سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين " لا يسترقون ولا يتطيرون ولايكتوون وعلى ربهم يتوكلون. فقال عكاشة: أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: نعم".

- صحيح البخاري ج٥، ٢١٧٠، الحديث: ٥٤٢٠، كتاب الطب، باب من لم يرق.
- صحيح مسلم ج١ ص ١٩٩ الحديث: ٢٢٠ كتاب/ الإيمان باب/ الدليل على دخول طوائف مسلمة الجنة بغير حساب.

عنهم جميعاً.

قوله: لكنما (الصديق فهم أفضل).

كلام الشيخ هنا يشير إلى مسألة تفاضل صحابة رسول الله ﷺ.

أما تفضيل أبي بكر عليهم جميعاً ﷺ فهذا مما أجمع عليه أهل السنة.

فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)[1].

وصحّح الألباني رحمه الله الحديث عن علي رضي الله عنه قال: (خير الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسميَ لكم الثالث لفعلت)[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله في الواسطية- مختصرا- :

(ويفضلون -يعني أهل السنة- من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل، على من أنفق من بعد وقاتل.

ويقدّمون المهاجرين على الأنصار.... ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربّعون بعلي ﷺ....

---

(١) حديث ابن عمر ﷺ:

- صحيح البخاري ٣ / ١٣٥٢، الحديث: ٣٤٩٤، كتاب: فضائل الصحابة. باب: مناقب عثمان بن عفان.

- سنن أبي داود ٢ / ٦١٧، الحديث ٤٦٢٧.

(٢) مسند أحمد ج١ ص ١٠٦ الحديث: ٨٣٦.

مسند العشرة المبشرين بالجنة: مسند علي بن أبي طالب.

قال شعيب الأرنؤوط: صحيح

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟

فقدم قوم عثمان، وسكتوا أو ربّعوا بعلي، وقدّم قوم علياً، وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي، وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي– ليست من الأصول التي يضلل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة.

لكن التي يضلل فيها:

مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر،ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم.

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة، فهو أضلّ من حمار أهله)[1].اهـ.

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام لا زيادة عليه، ولِلَطافة هذه الأبيات في الدرة المضية أسوقها، قال:

ولــيس في الأمــة بــالتحقيق	في الفضــل والمعــروف كالصــديق
وبعــده الفــاروق مــن غيــر افــترا	و بعــده عثمــان فــاترك المــرا
وبعــدُ فالفضــل حقيقــاً فاســمع	نظــامي هــذا للبطــين الأنــزع[2]
فحبــه كحــبهم حتمــاً وجــبْ	ومــن تعــدّى أو قلــى فقــد كــذبْ
وبعــد فالأفضــل بــاقي العَشَــرةْ	فأهــل بــدر ثــم أهــل الشــجرةْ
وقيــل أهــل أُحــد المقدمــةْ	والأوّل أولى للنصوص المحكمـةْ

وعائشة في العلم معْ خديجة في السبق فافهم نكتة النتيجة[3].

(١) الواسطية شرح الهراس ص٢٧٦.

(٢) قال في النهاية في غريب الحديث: "البطين الأنزع: العظيم البطن"، ١/ ١٣٦.

(٣) الدرة المضية ـ جامع المتون العلمية ص٤٢٣.

فصل... قاصمة وعاصمة

ومن البدع التي انتشرت بين الناس، وخاض فيها الخائضون بغير علم ولا بصيرة: ذكر ما شجر بين الصحابة؛ خصوصاً ما شجر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ثم اقتران ذكر ذلك بإساءة الأدب مع أولئك الكبراء من جيل الصدر الأوّل.

ورحم الله ابن العربي حينما صنف كتابه العظيم "العواصم من القواصم" الذي دافع فيه عن أعراض هؤلاء الصحابة الكرام، وبرّأهم من أكثر ما نسب إليهم بهتاناً وزوراً!!

يقول رحمه الله في آخر كتابه:

(وقد بيّنت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار ولا في درهم إلا عدلاً بريئاً من التهم، سليماً من الشهوة، فكيف تقبلون في أحوال السلف وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة في الدين، فكيف في العدالة!! ورحم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال وقد تكلموا أمامه في الذي جرى بين الصحابة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤][1].

وسئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة: علي ومعاوية وطلحة وعائشة؛ هل يطالبون به أم لا؟

فأجاب:

"قد ثبت في النصوص الصحيحة أن عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة، بل قد ثبت في الصحيح: أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة.

---

(1) العواصم من القواصم ص٢٦٩ لابن العربي المالكي / دار الجيل – بيروت ط٣ - ١٩٩٤

وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان هم من الصحابة ولهم فضائل ومحاسن.

وما يحكى عنهم كثير منه الكذب، والصدق منه كانوا فيه مجتهدين، فالمجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له.

وإن قُدِّر أنّ لهم ذنوباً، فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقاً، إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة، منها:التوبة ومنها: الاستغفار، ومنها: الحسنات الماحية، ومنها المصائب المكفرة، ومنها شفاعة النبي ﷺ، ومنها شفاعة غيره، ومنها دعاء المؤمنين، ومنها ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعتق، ومنها فتنة القبر، ومنها أهوال القيامة.

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنباً يدخل به النار قطعاً فهو كاذب مفتر، فإنه لو قال: لا علم له به، لكان معطلاً، فكيف إذا قال ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم وقد نهى الله عنه من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل، فهو ظالم متعد....ثم قال: فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أنهم مؤمنون مسلمون، وأن علي بن أبي طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقابلة له، والله أعلم"[1].

ويذكر ابن بطة المسلك الصحيح الأسلم في ما حصل من النزاع بين الصحابة، فيقول:

(ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شهدوا

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٤٣٣.

المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه ﷺ.

ولا تنظر في كتاب صفين والجمل، ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك، ولا لغيرك، ولا تروه عن أحد، ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه ممن يرويه، فعلى ذلك اتفاق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه)[1]

ومما جاء في كتاب الإمامة، لأبي نعيم الأصبهاني قوله:

(فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه)[2].

وقد ظهر في الأزمنة الأخيرة من يتخذ من هذه المسألة ثغرة يلجُ منها إلى الطعن السنة ونصرة الرافضة متستّرا بحجاب "المنهجية العلمية"، أو "إطلاق الحرية للعقل" أو "تتبع الحقائق التاريخية لإصلاح الواقع" وما أشبهه، فليتنبه الشباب إلى هذا، فإنه مزلة مضلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله العافية، ونشهده أننا نحبّ أصحاب نبيه ﷺ، ونتبرّأ ممن عاداهم وسبهم، بل نعاديه ونبغضه، ونسأل الله الحشر مع أولئك الأكابر، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية و مجانبة الفرق المذمومة / لابن بطة الحنبلي ص٢٨٦ دار الراية. الرياض ط١ ١٤٠٩هـ

(٢) الإمامه لأبي نعيم الأصفهاني ص٣٤٤/ مكتبة العلوم والحكم السعودية ط١ - ١٤٠٧ هـ

البيت الخامس

وأقولُ في القُرآن مَا جاءَتْ به آياتُهُ فَهْوَ القَديمُ المُنْزَلُ

يعرض شيخ الإسلام في هذا البيت إلى مسألة " كلام الله "، واعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن.

وهذه المسألة كثر الخلاف فيها، وبها ابتلي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ومَن معه، لذلك كثر الكلام حولها، واشتدّ التنازع فيها، إلا أن الذي عليه السلف ﭫ واضح الحجّة، سهل المأخذ، متوافق مع الظاهر المتكاثر للنصوص القرآنية والنبوية.

فيذكر أنه يقول فيه أي في القرآن ما يقوله القرآن نفسه، وهو أنه قديم أزلي، أنزله الله على رسوله ﷺ، فهو كلامه سبحانه على الحقيقة، تكلم به على كيفية تليق بجلاله.

وقد انقسم الناس أمام هذه المسألة إلى طوائف كثيرة، ويمكن أن نجمل القول بأن الخلاف يدور فيها على أصلين:(١)

الأول: هل قوله تعالى متعلق بمشيئة وقدرته أم لا؟

الثاني: هل قوله وصف له قائم بذاته أم خارج عنها؟

قال ابن القيم في النونية:

وإذا أردت مجامع الطرق التي فيها افتراق الناس في القرآن

فمدارها أصلان قام عليهما هذا الخلاف هما له ركنان

---

(١) شرح القصيدة النونية لابن القيم / محمد خليل هراس ١/ ١٢٧ وما بعدها، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٣.

هـــل قولـــه بمشـــيئة أم لا، وهـــل في ذاتــــه أم خـــارجٌ هــــذان
أصل اختلاف جميع أهـل الأرض في الـ قــرآن فاطلـب مقتضـى البرهـان

أقول: الطوائف والأقوال في هذه المسألة كثيرة، لكنني أكتفي بذكر أشهرها:

الأوّل: ذهب متأخرو المعتزلة، من أمثال: أبي هذيل العلاّف والنظام والجاحظ وغيرهم إلى أنه كلامه سبحانه مخلوق وليس صفة قائمة بالذات. فقالوا: القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلّم موسى بنفسه، وإنما خلق الكلام في الشجرة أو في غيرها، وإضافة الكلام إليه سبحانه: "إضافة تشريف" فقط! وهؤلاء جعلوا هذا الكلام متعلقاً بالمشيئة والقدرة وهو الأصل الأول المذكور لكنهم جعلوا الكلام مخلوقاً منفصلاً، لم تتصف به ذات الله كما بينتُ.

الثاني: الأشاعرة[1] والكُلّابية[2]: فهؤلاء قالوا: كلام الله معنى واحد قديم بذات الله أزلاً وأبداً، وليس بحرف ولا صوت.

والقرآن على قولهم هو عبارة[3] عن كلام الله تعالى أو حكاية له، وليس هو ذات الكلام، وإطلاق القرآن عليه "مجاز "، والكلام الذي أثبتوه لله سبحانه هو

---

(١)نسبة إلى أبي حسن الأشعري رحمه الله، وخالفوا السلف في مسائل، وهم أقرب الطوائف في الاعتقاد إلى السلف، وقد ذكر عدد من الأجلّة رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب التأويل إلى مذهب السلف؛ فالله أعلم بالصواب منه.

(٢)نسبة إلى عبد الله بن سعيد بن كُلاب القطان البصري، ووافق الاشاعرة في بعض أقواله مع بعض الاختلافات / ولمراجعة شئ عن هذه الطوائف انظر كتاب: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

(٣)العبارة قول الأشاعرة والحكاية قول الكلابية، والفرق أن الحكاية تكون نفس المحكي، وليس كذلك العبارة / انظر شرح القصيدة النونية ج ١ ص ١٢٨

الكلام النفسي[1] وليس كلاماً بحرف وصوت يسمعه المخاطب.

وعليه:

فهم أثبتوا لله صفة الكلام بمعنى الكلام النفسي القائم بذات الله أزلاً وأبداً هذا بالنسبة للأصل الثاني المذكور.

أما بالنسبة إلى الأصل الأول فهم على قولهم هذا، ينفون أن يتكلم الله بمشيئة، لأن كلامه هذا مَعنىً قديم فلا يتكلم الله متى شاء بما شاء!

والذي أدّى إلى ما ذهبوا إليه، اعتماد مسلَّمات علم الكلام في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة، والحكم على هذه النصوص بتلك المسلمات العقلية، التي استُلَّت من فلسفة الإغريق، وكثير منها قد لا يكون مسلمة في حقيقة الأمر!

فمن تلك المسلمات أن الحوادث[2] لا تحلّ إلا بالحوادث، ولا تحل بالأزليّ القديم. وعليه، فهم نفوا أن يتكلم الله بما شاء متى شاء، لأنه يقتضي أن تحل الحوادث فيه، وهذا ممتنع على قاعدتهم وبناءً على هذه القاعدة التي لم يشهد لها نصّ شرعي، ولا اتفقت عليها العقول؛ نفوا كثيراً من أفعال الله الثابتة في نصوص القرآن والسنة ويأتي شيء من هذا إن شاء الله تعالى.

أما الثالث: فهو مذهب السلف رحمهم الله ورضيَ عنهم، قالوا:

"إن القرآن كله كلام الله؛ حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلاماً لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام.... كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح، ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما.

---

(١)معنى الكلام النفسي: أي ما يكون في النفس من معاني، يعبّر عنها بالحروف والأصوات.

(٢)يقصد المتكلمون بالحوادث: المخلوقات، فهي حدثت بعد أن لم تكن.

وإن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره، وإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه، ولا حروفه يشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته..."(1)

وأنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف يشاء، بكلام يقوم به.

وهو يتكلم بصوت يسمع، وإن نوع الكلام أزلي قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعيّن قديماً(2)

وهذا الكلام المنقول عن شيخ الإسلام في الفتاوى ومنهاج السنة شرح مفصّل لما جاء في بيت الشعر المذكور.

ومما جاء من النصوص القرآنية يدلّ على مذهب أهل السنة في مسألة الكلام:

قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة ٦]. وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة ٢٥٣].

وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه ١١، ١٢]

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [سورة النازعات ١٦]

وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]

---

(١) مجموعة الفتاوى، ١٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر: منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ٣/ ١٤٢، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]

وقوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣]

والآيات كثيرة جداً، فضلاً عن الأحاديث.

مصطلحات...

من المصطلحات الواردة في بيت الشعر:

القرآن:

قد اختلف العلماء في اشتقاق كلمة: القرآن.

جاء في "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز":

(قرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض... ومنه سمي القرآن، لأنه يجمع السور فيضمها، وقيل: سمي به، لأنه جمع فيه القصص و الأمر والنهي والوعد والوعيد، أو لأنه جامع ثمرة كتب الله المنزلة، أو لجمعه ثمرة جميع العلوم.

وقال قطرب في أحد قوليه، يقال: قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧)﴾ أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨)﴾ أي قراءته[1].

أما اصطلاحاً فعلى مذهب السلف الصالح وأهل الحديث هو كلام الله سبحانه حقيقة، المنزَّل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المبتدَأ بالفاتحة، المختتَم بالناس، المتعبَّد بتلاوته[2].

- الآيات:

جمع آية، وهي في اللغة تطلق على عدة معانٍ، كالمعجزة والعلامة والعبرة

---

(١)بصائر ذوي التمييز / للفيروز أبادي ج ٤ ص ٢٦٢ / المكتبة العلمية بيروت.

(٢)الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم / أ.د.عبد العزيز بن محمد الحجيلان ص٨ دار ابن الجوزي -الدمام-ط٢ ١٤٢٥هـ

والبرهان والدليل، وغير ذلك[1]، إلا أن المعنى الذي يجمع كل ذلك: العلامة.

والآية في الاصطلاح:

طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن[2].

وإنما سميت الآية كذلك لأنها علامة دالّة على أن هذا القرآن من لدن رب العالمين.

- القديم:

يعني بذلك الأزليّ، وهو عكس الحادث أي المخلوق الذي له بداية، وهذا اللَّفظ من ألفاظ المتكلمين.

- المنزل:

أي الذي أنزله الله سبحانه مع جبريل عليه السلام، على محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء ١٩٣-١٩٤].

وقال سبحانه ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة البقرة ٩٧].

وقد اختلف العلماء في "تنزيل القرآن" على أقوال تفصيلها في كتب علوم القرآن وأرجحها وهو رأي الجمهور من العلماء، قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة[3]

---

(١) دراسات في علوم القرآن / أ.د.فهد الرومي ص١١٥ / الرياض ط١١، ٢٠٠٣.

(٢) المرجع السابق ص١١٥.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص ١١٠. دار الكتاب العربي-بيروت، ط١، ٢٠٠٣

البيت السّادس

وَأقُولُ قالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ   والمُصْطَفى الهَادِي وَلا أَتَأَوَّلُ

وهذا البيت بيّن فيه شيخ الإسلام القاعدة في التعامل مع متشابه القرآن والحديث عامة، وهي التسليم بما قاله الله سبحانه وتعالى وقاله رسوله ﷺ من غير تطويع النصوص الشرعية للتأويلات الفاسدة، والحكم على هذه النصوص بالعقول القاصرة.

وقد جاء عن الشافعي رحمه الله تعالى :

(آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله)[1].

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[سورة آل عمران ٧].

فالمنهج الذي ذكره شيخ الإسلام في البيت المذكور، هو ذاته المنهج الذي أثنى عليه ربنا سبحانه وجعله منهج الراسخين في العلم، وهو قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران الآية: ٧] .

وهذه البيت وإن كان له علاقة بما قبله إلا أنه كالتمهيد للموضوع القادم.

قوله: ولا أتأوّل.

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي / جامع المتون العلمية ص١٨٦



التأويل، كلمة استعملها السلف المتقدمون، واستعملها المتأخرون من الفقهاء وعلماء الكلام وغيرهم[1]، وكل استعملها بمعنى مختلف عن استعمال غيره.

فالتأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق الظاهر أم خالفه فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفان، وقد فرّق العلماء بينهما في هذا السياق فيما بعد.

ومثل هذا الاستعمال قول الإمام الطبري في تفسيره قبل بدئه بتفسير الآية: القول في تأويل قوله تعالى....، والمعنى:القول في تفسيره.

ومن ذلك حديث النبي ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)[2].

والثاني: هو نفس المراد بالكلام؛ فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، فإذا قيل طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها.

ويرى شيخ الإسلام أن ورود كلمة التأويل في القرآن، إنما جاء على هذا المعنى الأخير[3].

وأما التأويل عند المتكلمين والأصوليين وغيرهم فمعناه:

صرف اللفظ عن المعنى الراجح المتبادر إلى الذهن إلى المعنى المرجوح

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ج ١ ص١٣ ـ دار الأرقم ـ بيروت.

(٢) اللهم فقهه في الدين:

- صحيح البخاري ج١ ص ٦٦ الحديث: ١٤٣ - الكتاب/ الوضوء.- الباب/ وضع الماء عند الخلاء. مسند أحمد: ج١ ص ٢٦٦ الحديث: ٢٣٩٧ - الكتاب/ مسند بني هاشم.- الباب/ مسند عبد الله بن عباس. والأحاديث: ٢٨٨١ و ٣١٠٢.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ج ١ ص١٣ ـ دار الأرقم ـ بيروت.

الذي يحتمله اللفظ لدليل يقترن به.

وعليه فالمتأول مطالب بأمرين:

الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي ادّعى أنه المراد.

الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، و إلا كان هذا التأويل فاسداً أو تلاعباً بالنصوص[1].

والذي نفاه شيخ الإسلام في قصيدته هو المعنى الذي أراده المتأخرون؛ وهو صرف اللفظ من المعنى الراجح المتبادر إلى المعنى المرجوح.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين:

إذا سئل عن تفسير آية من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ، فليس له أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاسدة لموافقة نحلته وهواه، ومن فعل ذلك استحقّ المنع من الإفتاء والحجر عليه، وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرح به أئمة الإسلام قديماً و حديثاً...

وأخيراً، فإن هذا البيت يشير إلى أمر مهمّ، وهو مصادر العقيدة الإسلامية، **فأوّل** هذه المصادر: القرآن الكريم، والذي يمثله قول الناظم: (وأقول: قال الله). أي أنني أعتمد في استمداد عقيدتي على قول الله وهو القرآن الكريم.

وثاني هذه المصادر هو السنة المطهرة، والذي يمثله قول الناظم: (قال رسوله)، أي من هذين المصدرين أستمدّ عقيدتي، لا من غيرهما. وفي الحديث: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)[2].

---

(١) المرجع السابق ج١ ص١٣ نقلاً عن [الإكليل في المتشابه والتأويل] لابن تيمية ج٣ ص١٥-١٧.

(٢) حديث (تركت فيكم..) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج١، ص١٧١، كتاب العلم. الموطأ (رواية يحي الليثي)، ج٢ ص ٨٩٩ الحديث ١٥٩٤ .-كتاب/ القدر- باب/ النهي عن القول بالقدر.
وأخرجه مسلم بدون (وسنة نبيه) ج٢، ص ٨٩٠، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ.

والعقل الصحيح لا يتعارض مع ما أتى في هذين المصدرين صريحاً صحيحاً، وفي ذلك صنف شيخ الإسلام كتابه: (درء تعارض العقل والنقل).

البيت السابع

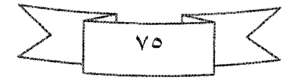
وجَميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها حَقّاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

قوله: آيات الصفات.

يقصد بها الآيات التي جاء فيها وصف الله ﷻ بصفاته العلى، اللائقة بذاته الشريفة الجليلة، كقوله ﷷ: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة ٦٤]. وقوله ﷷ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [سورة الرحمن ٢٧] وقوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة الزمر ٦٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر ٢٢]، وقوله ﷻ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، وقوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة ٥٤]. هذا، إضافة إلى مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة ١٢٩] وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء ١]، وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: وقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧] وغير ذلك من الآيات التي جاءت فيها صفات الرب ﷻ.

وهذه الأخيرة – وإن كانت أسماء – فهي كذلك صفات اتصفت بها ذاته ﷻ، فإذا قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء ١]، أثبت لنفسه سبحانه صفتي: السمع والبصر، وإذا قال سبحانه: (وهو العزيز الحكيم) أثبت لنفسه تعالى وتقدس صفتي: العزة والحكمة، وهكذا...

وشيخ الإسلام رحمه الله بيّن في هذا البيت أن منهج السلف الأوّل من هذه الأمة – أفضل القرون وخيرها عملاً واعتقاداً – كان إمرار الصفات الواردة في آيات القرآن الكريم وفي أحاديث النبي ﷺ، على ظواهرها حقيقية، ثمّ توكيل كيفياتها إلى



الله ﷻ.

كما أخبر عنهم سبحانه في آية آل عمران:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران ٧].

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى:

"حكى الخطابيُّ وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما أن مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات على ظاهرها"[١].

ومراد السلف بإجرائها على ظاهرها هو: الجزم بأن لها معنى حقيقياً يليق بجلال الله وكماله، وهو المعنى الذي يظهر من اللفظ وفق ما تفقهه العرب من كلامها[٢].

وهذا الذي أذكره معنى قول الناظم: كما نقل الطراز الأوّل.

فالطراز الشكل والنمط، والطراز الجيد من كل شيء[٣]. وعليه فإن الشيخ رحمه الله عنى بالطراز الأوّل الشكل الأفضل والأحسن من هذه الأمة، وهم السلف رحمهم الله.

والنصوص المنقولة عن السلف كثيرة جداً في بيان أن المنهج في التعامل مع هذه الآيات والأحاديث التي فيها صفات الرحمن سبحانه هو ما ذكر من إمرارها على وجه الحقيقة ثم التسليم بكيفياتها.

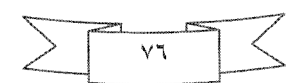
ومن ذلك: ما رواه الإمام البيهقي بسنده إلى عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك بن

---

(١) الفتاوى ٣٣/ ١٧٧.

(٢) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ـ د. عمر سليمان الأشقر ص١٢٠/ دار النفائس. الأردن ط٣ ١٩٩٧.

(٣) المعجم الوسيط ص٥٤٤.



أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] كيف استواؤه؟ قال فأطرق مالك، وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش، كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه. قال: فأخرج الرجل[2].

ورواه أيضاً بلفظ آخر عن مالك، وفيه: (الاستواء غير مجهول، و الكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً. فأمر به أن يخرج)[3]

يقول الإمام البيهقي رحمه الله عند سوق هذه الآثار:

(فأما الاستواء، فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه، كنحو مذهبهم في أمثال ذلك)[4]

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمهما الله:

(من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه ولا تمثيل).[5]

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، ولا يتجاوز القرآن والحديث)[6]

وقال الترمذي رحمه الله في الكلام على حديث الرؤية:

---

(١) سورة طه ٥.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ج٢ ص١٥٠ دار الكتاب العربي بيروت ط١ ١٩٨٥.

(٣) المرجع السابق ج٢ ص ١٥١ ورواه الذهبي في كتاب العلو بالأسانيد الصحيحة.

(٤) انظر المرجع السابق ج٢ص١٥٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٢١، دار الفكر، وسير أعلام النبلاء، ١/ ٦١٠، مؤسسة الرسالة.

(٦) مجموع الفتاوى ج٥ص٢٦

"والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك وابن المبارك وابن عيينة و وكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها، ولا يقال: كيف، ولا نفسِّر ولا نتوهم"(١)

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه:(قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولَهُم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلاّ من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسّر، وما دونهم مقصّر، لقد قصّر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدىً مستقيم)(٢).

والدليل على أن هذا المذكور هو مذهب السلف رحمهم الله:أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نَقْل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، لا شاكّ في صدق قائلها، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً لنقل عنهم، ولم يجز أن يكتم بالكلية، إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب، وفعل ما لا يحل!! بل كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدالّ على شدّة كراهة لمسألته(٣).

وقد مرّ معنا ما رواه الأئمة عن الإمام مالك رحمه الله تعالى في ذلك.

---

(١) سنن الترمذي ج٤ص٦٩٢

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامةص١٨٧في جامع المتون العلمية.

(٣) مجموع الفتاوى ج٤ص٣

قال شيخ الإسلام في الواسطية:

(ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)[1].

والتحريف: إمالة الكلام عن المعنى المتبادر منه، إلى معنى آخر لا يدلّ عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح[2]، وليس ثمة قرينة تدل على صرفه من الراجح إلى المرجوح، وهذا هوَ التأويل الباطل الذي لا يدل عليه الدليل.

أما **التعطيل** فهو: نفي الصّفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى.

وأما **التكييف**: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية معينة أو يسأل عنها بكيف.

وأما **التمثيل** فهو: اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين[3].

والحاصل..

أن هذا الذي ذكره الشيخ هو منهج السلف في التعامل مع آيات وأحاديث الصفات، ولا يخفى أن الموضوع جدّ واسع وضخم، وقد أفرده بالتصنيف علماء كثر من أئمة أهل السنة بسطوا فيه الحديث وأزالوا الشبه وردوا الأباطيل، وما هذه إلا عجالة سريعة لبيان المنهج فحسب، ومن طلب الزيادة على ما تقدّم فليرجع إلى كتاب "أسماء الله وصفاته"، لشيخنا العلامة الأستاذ الدكتور عمر الأشقر رحمه الله تعالى.

---

(١) العقيدة الواسطية شرح الهراس ص٩٨

(٢) العقيدة الواسطية شرح: الهراس ص١٠١.

(٣) انظر المرجع السابق ص(٩٩).

البيت الثامن

وأَردُّ عُهْدَتهَا إلى نُقّالِها وأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قوله: وأردُّ عهدتها إلى نقالها.

العهدة: ضمان صحة الخبر، يقال: عهدة الخبر على راويه[1].

والمعنى:

أن ما جاء من الكلام في الصّفات عن الله ورسوله وعن السلف، إنما نردُّ ضمان صحته على من نقله إلينا، بعد إخضاع هذه الآثار لمقاييس النقد والتصحيح والتضعيف في علم الحديث.

وهذا الشطر من كلام شيخ الإسلام، إنما هو ككلام ابن قدامة المقدسي في لمعة الإعتقاد حيث قال رحمه الله:

(ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله)[2].

قوله: **وأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتخَيَّلُ**

هذه قاعدة شريفة في التعامل مع صفات الباري ﷻ.

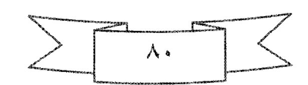
والعماد فيها قوله ﷻ: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[3]. فكل ما خطر ببالك فالله عز وجل بخلاف ذلك.

فصفات الله ﷻ قائمة بذاته الجليلة، فكما أن ذاته سبحانه لا تُعلَم ولا تُتخيل، فكذلك صفاته ﷻ، بل هي أبعد عن التصوّر والتخيُّل؛ إذ إن علم كيفية الصفة

(١) المعجم الوسيط ص٦٣٤.

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة في جامع المتون العلمية، ص١٨٥.

(٣) سورة الشورى ١١



مشروط بعلم كيفية الذات، فإذا كانت الذات بعيدة عن إدراك العقل، فالصفات أبعد إدراكا منها، إذ إنه لا يمكن أن تُتَصوّر الصفات بدون تصور الذات.

وقد قيل: العجز عن الإدراك إدراك، والبحث في ذات الله إشراك.

البيت التاسع

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ "القران" وَرَاءَهُ وإذا استدَلَّ يَقُولُ: قالَ الأَخْطَلُ

هذا البيت يُثَرِّب فيه شيخ الإسلام رحمه الله تثريباً شديداً على مَن ترك الاستدلال على معتقده بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ... ذلكم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتلكم السنة التي لا ينطق صاحبها عن الهوى، أقول: يثرب على مَن ترك الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما، فنبذهما، ثم تحاكم إلى ما لا يصلح دليلاً على شيء؛ فضلاً عن أن يحكم على كلام الله ورسوله.

قوله: "قبحاً"،هذه الكلمة وأشباهها، مثل: تعساً، سحقاً، تباً، تسمّى عند أهل العربية: مصدر نائب عن فعله، وهو: ما يذكر بدلاً من التلفظ بفعله(1) كأنه قال: قبح مَن فعل كذا وكذا، وكأنه يدعو عليه.

قوله: لمن نبذ القران وراءه.

نَبَذ: من النبذ وهو الطرح، ويقال: نبذ الأمر أي أهمله ولم يعمل به(2).

ونبذ القرآن أي: أهمله وهجر الاستدلال به والعمل بما فيه والتحاكم إليه.

والكلام يجري هنا مجرى الاستعارة، حيث شبه ترك الاستدلال بالقرآن والنظر فيه بالذي طرح شيئاً من يده ورماه وراءه.

ولعلّ في هذا التعبير، تعريضاً بمن ترك الاستدلال بالقرآن وهو المعبر عنه بنبذه بأنه فَعَل فِعْل اليهود عليهم لعنة الله، حيث قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة ١٠١].

---

(١) جامع الدروس العربية ج٣ ص٣٨. مصطفى الغلاييني/ المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٠ ط٣٧

(٢) المعجم الوسيط ص٨٩٦

وكلمة (القرآن) الواردة في البيت المذكور همزتها مسهلة، وليست مهموزة على وجهها، وذلك للضرورة الشعرية، فلو قال: القرآن، لانكسر بيت الشعر. والقصيدة على بحر الكامل.

وقوله: **وإذا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الأَخْطَلُ.**

يشير الناظم رحمه الله إلى بيت الشعر "المنسوب" إلى الشاعر "النصرانيّ" الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقد استدلَّ به بعضهم على مسألة الكلام النفسي[1].

وقد تعجب منهم شيخ الإسلام رحمه الله كما في كتاب الإيمان حيث قال: (ولو احتج محتج في مسألة لحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ، لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح؛ لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقّاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمّى الكلام)[2].

---

(١) وقد بينت قبل صفحات معنى الكلام النفسي.

(٢) الإيمان لابن تيمية ص١١٣.

البيت العاشر

والمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقّاً رَبَّهَمْ وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

يعرض هذا البيت لمسألتين مهمتين حصل فيهما خلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم.

فالشطر الأول عرض لمسألة رؤية الله ﷻ في الآخرة، فأثبت شيخ الإسلام هنا ما أثبته أهل السنة والجماعة من أن المؤمنين يرون ربهم ﷻ في الآخرة رؤية حقيقية.

جاء في نونية ابن القيم رحمه الله:

ويرونه سبحانه من فوقهم	نظر العيان كما يُرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم	ينكره إلا فاسد الإيمان
وأتى به القرآن تصريحاً وتع	ريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس	تفسير مَن قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه	يروي صهيبٌ ذا بلا كتمان
وهو المزيد كذاك فسّره أبو	بكر هو الصديق ذو الإيقان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو	هم بعدهم تبعية الإحسان
ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الر	حمن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الر	إجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم	لغة وعرفاً ليس يختلفان[1]

وثمة أبيات أخرى في هذه المسألة في النونية، أكتفي منها بما نقلت، ومن أراد الاستزادة رجع إليها، وفيها من الفوائد الكثيرة، أعرضت عن ذكرها مخافة الإطالة، والله المستعان.

ومن الأدلة القرآنية والنبوية على مذهب أهل السنة في مسألة الرؤية:

- قوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة ٢٢-٢٣]، أي تراه عياناً، ترى جمال ذاته العلية ونور وجهه الكريم[١]، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب، وقال الحسن: تنظر إلى الخالق وحُقَّ لها أن تنضر، وهي تنظر إلى الخالق[٢].

- وقوله سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المطففين ١٥].

قال الإمام الدارمي في كتاب "الرد على الجهمية": (ففي هذا دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عز وعلا، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه)[٣].

وقال الإمام الشافعي عليه الرحمة: (كما أن حجب هؤلاء في السخط أي بسببه كان هذا دليلا أن أولياءه يرونه في الرضاء)[٤].

-وقوله ﷻ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] روى الإمام مسلم[٥] عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، ويريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقّل موازيننا

---

(١) الكافية الشافية لابن القيم، المسماة بنونية ابن القيم.

(٢) تفسير البغوي ج٥ ص ١٨٥. وانظر تفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٧٨. انظر محاسن التأويل للقاسمي/ ج٩ ص ٢٨٢ دار الحديث- القاهرة.

(٣) الرد على الجهمية لأبي سعيد الدرامي ص ١٠٢/ دار ابن الأثير- الكويت ط٢ ١٩٩٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٥٧٩.

(٥)- صحيح مسلم/ ج١ ص ١٦٣ الحديث: ١٨١ كتاب الإيمان/ باب إثبات الرؤية.

ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة).

وهذا التفسير مرويّ عن أبي بكر الصّديق وعليّ بن أبي طالب في رواية، وحذيفة، وعبادة بن الصامت، وكعب بن عجرة، وأبي موسى، وصهيب، وابن عباس في رواية، وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي(١).

وذكر القاسمي تواتر تفسيرها بالمذكور عن جماعة من الصحابة والتابعين(٢).

ومن الأدلة أيضاً:

-حديث أبي هريرة أن ناساً قالوا: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارّون أي تختلفون وتتنازعون في رؤية البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: (فإنكم ترونه كذلك)(٣).

---

(١)انظر: تفسير القرطبي ن ج٨،ص ٢١٠، وتفسير البغوي، ج٢، ص ٤١٧.

(٢) محاسن التأويل ج٦ ص ٢١.

(٣) صحيح البخاري: ج٢ ص ٢٧٠٤ الحديث: ٧٠٠٠ كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

- مسلم ج١ ص ١٦٣ الحديث ١٨٢ كتاب الإيمان/ باب: معرفة طريق الرؤية.
- سنن أبي داود ج٢ ص ٤٧٣٠ كتاب السنة/ باب في الرؤية.
- سنن ابن ماجه ج١ ص ٦٣ الحديث ١٧٩ كتاب: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم.
- مسند أحمد ج٢ ص ٢٩٣، الحديث: ٧٩١٤، مسند أبي هريرة- والحديث: ٨٨٠٣.

وقول النبي ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامُون[1] في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)[2]

والمراد من التشبيه في الحديثين المذكورين تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، يعني أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدراً ولا يحجبه سحاب[3].

وقوله ﷺ في حديث أبي موسى:(جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[4].

وقد ذكر شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العزّ أنه روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، (ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول ﷺ قالها)[5].

---

(١) معنى تُضامون: من التضام وهو التزاحم والتلاحق، وتخفيف الميم من الضيم بمعنى الظلم يعني: لا يلحقكم ظلم ولا غبن.

(٢)البخاري: ج١ ص ٢٠٣ الحديث ٥٢٩ كتاب/ مواقيت الصلاة/ باب فضل صلاة العصر. والأحاديث: ٦٩٩٧ و٤٥٧٠و ٥٤٧، مسلم: ج١ ص ٤٣٩ الحديث ٦٣٣ كتاب الصلاة/ باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، سنن أبي داود: ج٢ ص ٦٤٦ الحديث: ٤٧٢٩ كتاب السنة باب/ في الرؤية، سنن الترمذي: ج٤ ص ٦٨٧ الحديث: ٢٥٥١ كتاب صفة الجنة/ باب منه (ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى- والحديث: ٢٥٥٤.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص٢١٥.

(٤) صحيح البخاري: ج٦، ص ٢٧١٠، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة)، الحديث ٧٠٠٦، وأخرجه -أيضا- برقم: ٤٥٩٧ .صحيح مسلم: ج١، ص١٦٣، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الآخرة.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٩٤.

وقال الإمام الدارمي بعد ذكر الكثير من الأحاديث في إثبات رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ في الآخرة، ما نصُّه:

(فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال؛ بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة)[1].

مسألة:

كيف نوفق بين هذا المذكور، وبين قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟

أقول: ذكر العلماء هذه المسألة، وبينوا أن لا تعارض بين الآية المذكورة وبين ما قدمناه من الأدلة، لأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أن الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية، كما أن العقول تعلمه، ولكن لا تحيط به علماً، لأن الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية[2].

قوله: **وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ**

يشير رحمه الله تعالى إلى حديث البخاري ومسلم الذي أخرجاه عن النبي ﷺ: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص١٢٢

(٢) شرح الواسطية للهراس ص١٩١.

فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟)[1].

والمعنى: أن النزول إلى السماء الدنيا صفة فعل حقيقية لله ﷻ، على الكيفية التي تليق بجلاله عز في علاه.

والأحاديث في هذا الشأن متواترة، كما ذكر ذلك الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب "العلو"[2]، فقد قال:

"وقد ألفتُ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به"[3].

ومما يلحق بهذه المسألة إثبات صفة المجيء لله ﷻ على كيفية يعلمها هو تليق بجلاله سبحانه:

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ ﴾ [سورة الفجر ٢٢].

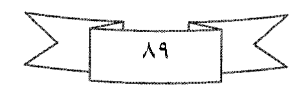
وقوله ﷻ: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [سورة البقرة ٢١٠].

وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه) وفيه: (تبقى هذه الأمة فيقولون: هذا مكاننا حتى

(١) صحيح البخاري: ج١ ص ٣٨٤ الحديث ١٠٩٤ كتاب التهجد/ باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، والأحاديث: ٧٠٥٦و ٥٩٦٢ .صحيح مسلم: ج١ ص ٥٢١ الحديث ٧٥٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.الموطأ: ج١ ص ٢١٤ الحديث: ٤٩٨ كتاب القرآن/ باب ما جاء في الدعاء، سنن أبي داود:ج١ ص ٤٢٠ الحديث: ١٣١٥ الكتاب/ الصلاة – باب أي الصلاة أفضل. والحديث ٤٧٣٣ .الترمذي: ج٥ ص ٥٢٦ الحديث ٣٤٩٨ كتاب الدعوات.سنن ابن ماجه:ج١ ص ٤٣٥ الحديث: ١٣٦٧ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها. باب: ما جاء في أي ساعات الليل أفضل.

(٢) كتاب العلو للذهبي ص٧٣

(٣) العلو للذهبي ص٧٩



يأتي ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله ﷻ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه)[1]

وغير ذلك من النصوص المثبتة لاعتقاد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

- مسألتان متعلقتان بالنزول؟

المسألة الأولى: بناءً على ما سبق، هل يوصف الله سبحانه بالحركة؟

اختلف أهل السنة في هذا، والذي ذهب إليه شيخ الإسلام أن الذي ينبغي أن لا نطلق على الله إلا ما أطلقه الشرع، قال في الفتاوى:

(والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص)[2].

وذهب إليه عدد من الأعلام، وقالوا: نحن نسمّي هذا "فعلاً"، ولا نطلق عليه "حركة"، منهم: نعيم بن حماد، والبخاري، وابن خزيمة، وابن عبد البِّر، وغيرهم.

المسألة الثانية: من المسائل المتعلقة بالنزول، هل يَخلو العرش منه سبحانه وتعالى؟

ذهب جمهور السلف إلى أنه سبحانه ينزل ولا يخلو منه العرش، ونصر شيخ الإسلام رحمه الله هذا القول، وبيَّن أن القول بأن العرش يخلو منه مبنيٌّ على قياس خاطئ، وهو تشبيه الله بخلقه، وهذا باطل، لأن القول في الصفات كالقول في الذات،

---

(١) - صحيح البخاري: ج٢ ص ٢٧٠٤ الحديث: ٧٠٠٠ كتاب التوحيد/ باب: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة).

- صحيح مسلم: ج١ ص ١٦٣ الحديث ١٨٢ كتاب: الإيمان / باب معرفة طريق الرؤية.
- مسند أحمد: ج٢ ص ٢٧٥ الحديث: ٧٧٠٣- مسند أبي هريرة- والأحاديث: ١٠٩١٩ و ٧٩١٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/ ٤٢٣ .

فكما أن لله ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين[1].

---

(١)مجموع الفتاوى ج٥ ص١٣١، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود ج٣ ص١٢٢٢

فصــل

صفات الله ﷻ التي مر الكلام عليها صنفان بالنسبة إلى الذات العلية.

أولا: صفات الذات:

وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ، كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه والكلام[1] والقدم والملك والعظمة والعلو وغير ذلك، مما جاءت به نصوص القرآن والسنة.

وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله ﷻ، أنها قائمة به ﷻ لا تنفك عنه.

وثانيا: صفات الفعل:

وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة من صفاته ﷻ، كالاستواء والنزول والمجيء والعجب والضحك والرضا والحب والسخط والفرح والغضب وغيرها.

والواجب في هذه الصفات بنوعيها إثباتها لله ﷻ على حسب المعنى اللائق بكمال الله، على وجه الحقيقة لا المجاز.[2]

---

(١) الكلام صفة ذاتية وصفة فعلية؛ ذاتية باعتبار أنها لا تنفكُّ عن الله سبحانه وتعالى، وفعلية باعتبار أنه يتكلم متى شاء بما شاء. أفاده أخي الدكتور أبو العالية محمد الجوراني حفظه الله.

(٢)انظر: كتاب الإيمان ـ د. محمد نعيم ياسين ص٢٤ ـ ٢٥ / دار اقرأ صنعاء

البيت الحادي عشر

وأُقِرُّ بِالمِيزانِ وَالْحوْضِ الَّذِيْ أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهلُ

يذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت مسألتين من مسائل الغيب الأخروي دلت عليهما النصوص الشرعية: مسألة الميزان ومسألة الحوض.

أمّا المسألة الأولى وهي الميزان: فقد دلّ كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ على أن هناك ميزاناً توزن به أعمال العباد.

قال شارح الطحاوية: (الذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفّتان حسِّيتان مشاهدتان)[1].

وقال ابن القيم في الكافية الشافية[2]:

أفمــا تصــدّق أن أعمـــال العبـــا ... دِ تحـطُّ يــوم العــرض في الميــزانِ

وكــذاك تَثْقُــلُ تــارة وتَخــفُّ أخ ... رى ذاك في القـــرآن ذو تبيــــان

ولـــه لســـان كفتـــاه تقيمـــه ... والكفتـــان إليـــه ناظرتــــان

مــا ذاك أمــراً معنويــاً بــل هــو الــ ... محســوس حقــاً عنـد ذي الإيمـان

(١) شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الحنفي. ص ٤١٧، ط٩، ١٩٨٨، المكتب الإسلامي- بيروت.

(٢) نونية ابن القيم بشرح الهراس ج٢ ص٤٧٤.

ومما يدلُّ على الميزان - كما هو في عقيدة أهل السنة والجماعة-:

قوله ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء ٤٧]،

وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٨-٩].

وقوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [القارعة ٧-٨]

ومن السنة:

قوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

ومنها حديث النبي ﷺ: (الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان..)[1].

وقول النبي ﷺ: (إنه ليأتي الرجل السَّمين يوم القيامة، لا يَزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً)[2].

ومما ورد واضح الدلالة على ما ذكر أهل السنة في الميزان حديث البطاقة؛

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص ٢٠٣ الحديث ٢٢٣ كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء.

- مسند أحمد: ج٥ ص ٣٤٣ الحديث ٢٢٩٥٣ كتاب: مسند الأنصار – حديث: أبو مالك الأشعري.

- سنن الدرامي: ج١ ص ١٧٤ الحديث: ٦٥٣ – كتاب الطهارة- باب: ما جاء في الطهور.

(٢) - صحيح البخاري: ج٤ ص ١٧٥٩ الحديث: ٤٤٥٢. كتاب التفسير/ باب: سورة الكهف.

- صحيح مسلم: ج٤ ص ٢١٤٧ الحديث ٢٧٨٥ – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلّص رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: أَلَك عذر أو حسنة، فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، فيقول: أحْضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلاّت؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)(1)

وغير ذلك مما هو مبثوث في كتب الحديث، والحمد لله رب العالمين.

وأما الحوض، فقد ورد في الواسطية:

(وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ؛ ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً)(2).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدّ التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، منهم في الصحيحين ما ينيف عن العشرين وفي غيرهما بقية ذلك(3).

---

(1) صحيح: صححه الألباني، سنن ابن ماجه: ج2 ص 1437 الحديث: 4300. كتاب: الزهد/ باب: ما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة، مسند أحمد: ج2 ص 213 الحديث 6994- مسند عبد الله بن عمرو.

(2) الواسطية شرح الهراس ص243. وذكر هذه الأوصاف ورد في أحاديث البخاري ومسلم

(3) فتح الباري، 11م476.

ومما جاء فيه من الأحاديث: عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب فلا يظمأ أبداً)(١).

وعن أنس عن النبي ﷺ: (لَيَرِدَنّ عليّ ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصيحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)(٢)

ومنها حديث عقبة بن عامر ﷺ أن الرسول ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف أن تتنافسوا فيها)(٣).

وقوله: **أَرْجُو بِأَنّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهلُ**

المقصود أنني أدعو الله وأرجوه لحسن ظني بربي ﷻ أن يسقيني من حوض نبيه ﷺ حتى أروى.

ونهل الشارب إذا شرب حتى روي(٤).

---

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٥ – الحديث: ٦٢٠٨. كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٢) صحيح البخاري: ج٥ ص ٢٤٠٦ – الحديث: ٦٢١١. كتاب/ الرقاق – باب/ في الحوض.

(٣) صحيح البخاري: ج١ ص ٤٥١ الحديث: ١٢٧٩ كتاب الجنائز باب: الصلاة على الشهيد. والأحاديث: ٣٨٥٧و٦٢١٥.

– صحيح مسلم ج٤ ص ١٧٩٥ الحديث: ٢٢٩٦. كتاب: الفضائل/ باب: حوض نبينا محمد ﷺ.

(٤) المعجم الوسيط ص ٩٥٩.

البيت الثاني عشر

وكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

تعريفه: الصراط لغة: الطريق الواسع، قيل: سمي به لأنه يسترط السابلة أي يبتلعهم إذا سلكوه. ويستعمل في الطريق المعنوي، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

يعني: الإسلام، وفي الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم) يعني الإسلام.

والصراط في الآخرة وهو المقصود من كلام المصنف: هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين الجنة والنار.

وهذا الصراط نؤمن به، وهو بعد الحساب والميزان إذا انصرف الناس من الموقف مروا عليه، والمرور على هذا الصراط عام لجميع الناس: الأنبياء والصديقين والمؤمنين والكفار، ومن يحاسب ومن لا يحاسب، ومن استقام على صراط الله المعنوي – وهو دين الله – استقام على الصراط في الآخرة، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الناس يمرّون عليه وتكون سهولة ذلك عليهم بقدر أعمالهم في الحياة الدنيا(١).

ومما ورد فيه:

ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (بلغني أن الجسر أدقّ من

---

(١) انظر: الإيمان د.محمد نعيم ياسين– ص١٠٧ . دار الفرقان– عمان.

الشعرة، وأَحَدّ من السيف)[1].

وحديث ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ أن الرسول ﷺ سئل: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: (هم في الظلمة دون الجسر)[2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال:

(يجمع الناس يوم القيامة......فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم..... إلى أن قال: فيمرُّ ويمرّون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلّة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمُّر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرُّ كالريح.....).[3]

وما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قد أخبر أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؛ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص ١٦٧ - الحديث: ١٨٣ - كتاب: الإيمان/ باب: معرفة طريق الرؤية.

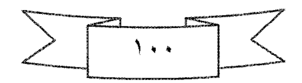
(٢) حديث (هم في الظلمة دون الجسر):

- صحيح مسلم ج١ ص ٢٥٣ الحديث: ٣١٥/ كتاب: الحيض/ باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائها.

(٣) وجاء في حديث أبي سعيد الخدري:

"... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم. قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد يقال لها: السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم...)

-أخرجه مسلم، ج١ ص١٦٩، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، الحديث ١٨٣.



فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت[1]، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان[2]؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلاّ الله، تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى."[3]

---

(١) الطاغوت كل من عبد من دون الله برضاه.

(٢) نبتة عظيمة لها شوك ضخم من كل الجوانب، والكلاليب جمع كَلوُب وهو حديدة معطوفة الرأس.

(٣) -صحيح البخاري: ج١، ص ٢٧٨، كتاب صفة الصلاة، باب فضل السجود. الحديث ٧٧٣.

-صحيح مسلم: ج١، ص ١٦٣ الحديث ١٨٢ كتاب الإيمان/ باب: معرفة طريق الرؤية. وانظر: ج٦ ص ٢٧٠٤ الحديث: ٧٠٠٠ / كتاب التوحيد/ باب: قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ". والأحاديث: ٧٧٣ و ٦٣٠٤، مسند أحمد: ج٢ ص ٢٧٥ الحديث: ٧٧٠٣ – مسند أبي هريرة- والأحاديث: ٧٩١٤و ١٠٩١٩.

قوله: فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

فيه الإشارة إلى قوله سبحانه:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١].

وقد اختلف العلماء في تفسير هذا الورود في هذه الآية، على قولين: هل يدخلون النار دخولاً، أم يمرُّون على الصراط فحسب؟

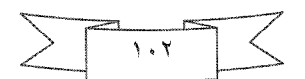
وقد ذهب الإمام الشوكاني رحمه الله إلى الثاني جمعاً بين الأدلَّة، يقول: (ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة فينبغي حمل الآية على ذلك)(١)

والحاصل:

أن المرور على الصراط مجاز الناس فوق النار، فمن أكرمه الله بالتقوى نجا بفضل الله ومنته، ووصل إلى طرف النار الآخر، حيث الطريق إلى الجنة، ومن ظلم نفسه بالشرك والمعاصي أهمل في النار، ثم يعذب إن كان من أهل التوحيد على قدر ذنوبه – إن لم يتجاوز الله تعالى عنه – ثم يخرج برحمة الله، أما المشركون فقد دلت النصوص على خلودهم في النار أبداً، والموفّق من وفقه الله لطاعته، والمخذول من وكله الله تعالى إلى نفسه.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ج٣ ص٣٤٤



البيت الثالث عشر

والنَّارُ يَصْلاهَا الشَّقيُّ بِحِكمَةٍ وكذا التَّقيُّ إِلى الجِنانِ سَيَدخُلُ

يذكر المصنف رحمه الله منصرف القوم – إلى الجنة أو النار– بعد ذكره الحوض و الميزان والصراط.

ويثبت أنّ أهل النار يصلونها للحكمة التي يعلمها ﷻ، وكذا أهل الجنة يدخلونها لأجل الرحمة، ولأجل الحكمة الربَّانية في خلق الخلق وبعث الرسل، فالله ﷻ خلق الجنة والنار لإثابة المطيع من خلقه، ولمعاقبة العاصي منهم.

وليس إدخال الأشقياء إلى النار عبثٌ لا طائل تحته – جلّ الله عن ذلك – وإنما حتى تستقيم أمور الناس وتصحّ حياتهم؛ خلق هذه النار يتوعد فيها من تنكَّب منهجه ودينه، فأفسد حياته وحياة غيره بالظلم: ظلم النفس وظلم الغير.

وكذلك يقال في إدخال السَّعيد التقي إلى الجنان.

والشطر الأوّل من البيت مقتبس من قوله سبحانه: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى ١١ -١٣].

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: (ويؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه وأجله، و**شقي** هو أو سعيد)(١).

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله سبحانه خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء

(١) – صحيح البخاري: ج٦، ص٢٧١٣، الحديث ٧٠١٦، كتاب التوحيد، باب(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)، صحيح مسلم: ج٤ ص ٢٠٣٦ الحديث ٢٦٤٣/ كتاب القدر/ باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، مسند أحمد: ج١ ص ٤٣٠، الحديث: ٤٠٩١، مسند عبد الله بن مسعود.

منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه)[1].

والحكمة المذكورة هنا تفسرها نصوص كثيرة، منها: قوله ﷻ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القلم ٣٥ – ٣٦]، وقوله ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨].

وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى كثير.

والشقيُّ من الشقاوة، قال الراغب الأصفهاني:

(الشقاوة خلاف السعادة، وقد شقي يشقى شقوة وشقاوة وشقاء، وقرئ (شِقْوتُنا)[2]، و(شقاوتنا)[3]، فالشِّقوة: كالردة، والشقاوة كالسعادة من حيث الإضافة، فكما أن السعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية، وسعادة دنيوية ، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية وبدنية وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب، وهي الشقاوة الأخروية.

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

وقال: ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، وفي الدنيوية: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

قال بعضهم: (قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو: شقيت في كذا، وكل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعمُّ من الشقاوة)[4].

---

(١) العقيدة الطحاوية- بشرح ابن أبي العز الحنفي. ص ٤٢٠ ط٩- ١٩٨٨ المكتب الإسلامي- بيروت.

(٢)(ربنا غلبت علينا شقوتنا) سورة المؤمنون١٠٦

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٦٠ دار العلم والدار الشامية ١٩٩٧

والتقي من التقوى وهي في الشرع حفظ النفس عما يُؤثِم[1].

ودخول التقي الجنة إلى الجنة وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، قال ﷻ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال جل وعز: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣].

ولا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي أن من يصلى النار نوعان:

الأول – المشرك شركاً أكبر، وهذا خالد في النار، لا يغفر الله له شركه، لأن الشرك أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾، والله ﷻ قد علّق مغفرة ما دونه من المعاصي بالمشيئة[2]، فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء (٤٨) (١١٦)].

أما الشرك فمقطوع بعدم مغفرته كما جاء في الآية السابقة، وقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [النساء ١٦٨ ــ ١٦٩]، ويدخل المنافق "نفاقاً أكبر" في هؤلاء إذ إنه في الحقيقة يبطن الشرك والكفر.

والثاني – هم أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، فهؤلاء موكولون إلى مشيئة الله سبحانه؛ إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم في النار على قدر ذنوبهم ثم يُخرجهم منها.

قال صاحب الطحاوية: (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلّدون، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لَقوا الله عارفين. وهم في مشيئته

---

(١) المرجع السابق ص٨٨١

(٢) انظر شرح الطحاوية ص٤٢٥ .ط٩ ١٩٨٨ – المكتب الإسلامي- بيروت.

وحكمه؛ إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته)[1].

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) قلت: و إن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق) ثلاثاً، وفي رواية (وشرب الخمر) ثم قال في الرابعة: (على رغم أنف أبي ذر)، قال: فخرج أبو ذر، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر[2].

---

(١) الطحاوية بشرح ابن أبي العز ص٣٦٩ ط٩ ١٩٨٨ - المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) - صحيح البخاري: ج٥ ص ٢١٩٣ الحديث: ٥٤٨٩. كتاب اللباس/ باب: الثياب البيض.

- صحيح مسلم: ج١ ص ٩٤ الحديث ٩٤- كتاب الإيمان/ باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار.

- مسند أحمد: ج٥ ص ١٦٦ الحديث: ٢١٥٠٤. مسند الأنصار/ حديث المشايخ عن أبي بن كعب.

البيت الرابع عشر

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ   عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات عذاب القبر ونعيمه، والسؤال فيه عمّا أسلفه الإنسان في حياته.

قال ابن أبي العز الحنفي:

"وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً- قلت: أيّ أن يكون عاقلاً، كما جاء في البيت المذكور- وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوته والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار"[1].

ومن الأدلة على عذاب القبر من القرآن:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)[2].

ومنها قوله ﷻ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح: ٢٥].

ووجه الدلالة أنه رتّب إدخالهم النار على إغراقهم بفاء التعقيب والترتيب، وجاءت صياغة كل ذلك بالماضي المفيد وقوع الفعل.

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٩٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٨٢.

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: "هذا عند الموت - والبسط: الضرب - يضربون وجوههم وأدبارهم"[1].

قال ابن حجر في الفتح: (ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد ٢٧]، ثم قال: هذا وإن كان قبل الدّفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه)[2].

أما من السنة فالأحاديث فيه كثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر(٣)، يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى:

(اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تضافرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. وتضافرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده)[4].

ومن هذه الأحاديث الواردة في هذا الشأن حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه الشيخان قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر، فكان لا يستتر من بوله)[5].

---

(١) تفسير الطبري، ج٧، ص ٢٧٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ج٤، ١٣٤٨.

(٢) فتح الباري ج٣ ص١٨٠، وانظر الإيمان د. محمد نعيم ياسين ص٩١.

(٣) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، ص٩١.

(٤) شرح النووي على مسلم، ج١٧ ص٢٠٠ - ٢٠١.

(٥) صحيح البخاري: ج١ ص ٤٦٤. الحديث: ١٣١٢- كتاب الجنائز/ باب: عذاب القبر من الغيبة والنميمة. والحديث: ٥٧٠٥.

ومن ذلك حديث أخرجه الشيخان أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فقيل: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)[1].

ومن الأحاديث حديث البراء بن عازب الطويل، وفيه:

"كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، كأنّ على رؤوسنا الطير، وهو يُلْحَدُ له، فقال: (أعوذ بالله من عذاب القبر) ثلاث مرات، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل، كما تسيل القطرة من فيّ السّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرّون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له، فيفتح له،

---

(١) صحيح البخاري: ج١ص ٤٦٤ الحديث: ١٣١٣/ كتاب الجنائز/ باب: الميت يعرض عليه بالغداة والعشي، صحيح مسلم: ج٤ ص ٢١٩٩ الحديث: ٢٨٦٦. كتاب: الجنة وصفة نعيم أهلها/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار وعليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، سنن الترمذي: ج٣ ص ٣٨٣ الحديث: ١٠٧٢ كتاب الجنائز/ باب عذاب القبر- باب: وضع الجريد على القبر والحديث: ٢٠٧٢، مسند أحمد: ج٢ ص ١١٣ الحديث: ٥٩٢٦. مسند المكثرين من الصحابة: مسند عبد الله بن عمر.

فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصّدقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: ويأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك. هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: مَن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسُوح[1]، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، وقال: فتتفرق في جسده، فينتزعها، كما ينتزع السُّفود من الصوف المبلول[2]، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج منها كأنتن ريح وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا،

(١) هي كساء من الشَّعر، يُلبس تقشُّعا وقهرا للبدن.

(٢) السفود: حديد ذات شعب معقّفة.

فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السُّفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كَذَب فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم السَّاعة)(١).

قال شارح الطحاوية:

(وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث)(٢).

هذا، وغير ذلك من النصوص الكثير، ومن الصحابة الذين رووا أحاديث عذاب القبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: البراء بن عازب، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وغيرهم........(٣).

قوله: **وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ**

يفهم منه تقييد من ينطبق عليه عذاب القبر بالعقل، وهذا ما أشار إليه صاحب الطحاوية وشرحها وقد أشرت إلى ذلك .

وعليه فغير العاقل، كالمجنون من بني آدم، وغير العاقلات، كالبهائم

---

(١) مسند أحمد: ج٤ ص ٢٨٧ الحديث: ١٨٥٥٧، من حديث الراء بن عازب.

- قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ٣٩٨.

(٣) انظر تهذيب شرح العقيدة الطحاوية لعبد المنعم حليمة، ص٣٥٠.

وغيرها لا عذاب قبر أو نعيمه ينتظرها.

وقد يفهم من كلام الناظم رحمه الله أن الجنّ داخلون في هذا، لأنهم أحياء وعقلاء، وهم مكلّفون باتباع محمد ﷺ.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن ١ ـ ٢].

قوله: **عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ**

فيه إشارتان:

الأولى: أن عمل المرء، يتمثل له على هيئة رجل حسن الوجه أو قبيح الوجه، يصاحب الميت في قبره.

وجاء النص على ذلك في أحاديث، منها حديث البراء بن عازب سالف الذكر.

الثانية: الإشارة إلى سؤال الملكين: منكر ونكير.

وقد ورد ما يشير إليه فيما أوردنا من أحاديث، وغيرها: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير)[1].

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا العذاب وإن كان يسمّى عذاب القبر، فإنه ليس خاصّا به فحسب، بل هو فيه وفي غيره مما يُلحق به، كالغريق والممزّق وكل مَن مات بأي طريق كانت.

---

(١) سنن الترمذي: ج٣ ص ٣٨٣ الحديث ١٠٧١ - كتاب الجنائز/ باب: عذاب القبر. حسنه الألباني.

البيتان الخامس عشر والسادس عشر

هَــذا اعْتِقَــادُ الشَّــافِعِّي ومالِــكٍ ... أبــي حَنيفــةَ ثُــم أحمَــد يُنْقَــلُ
فــإن اتَّبَعْــتَ سَــبِيلَهُمْ فَمُوفــقٌ ... وإنِ ابْتــدعْتَ فمــا عَلَيْــكَ مُعــوَّلُ

يقول الشيخ: هذا الذي ذكرته من مسائل الاعتقاد، هو مذهب أئمة علماء الإسلام، ونجومه الساطعة، فما أنا بأوّل من يتكلم به، ولا أحدثت شيئاً لم يعرفه سلف الأمة وخلفها، إنما الذي أفعله أنا هو مجرد النّقل عن هؤلاء الأعلام الكبار.

ومن اتبع أمثال هؤلاء الكبار كان اتباعه لهم علامة التوفيق والسداد، ومن تنكَّب طريقهم، وحاد عن سبيلهم؛ فمخذول لا يعتمد عليه في أمر الدين، ولا يلتفت إلى بدعه وضلالاته.

وفي الحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)[1].

وفي حديث آخر: (وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)[2].

وإنما نصّ الناظم رحمه الله على هؤلاء الأئمة الكبار، مع أن ما ذكره من المسائل هو اعتقاد السلف جميعاً كما نقلنا عنهم في طيات الشرح لما لهؤلاء الأربعة رحمهم الله من مكانة ومنزلة في صدور الناس، ولأنهم محلّ الثقة في دينهم وعلمهم، وهم - إلى هذا - أشهر علماء الإسلام، فإذا عرف السامع أن هذا المعتقد الذي ساقه الناظم هو اعتقاد هؤلاء ومذهبهم اطمأنّ له وقوي اعتقاده فيه.

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ص ٩٥٩ الحديث ٢٥٥٠ - كتاب الصلح/ باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود.
- صحيح مسلم: ج٣ ص ١٣٤٣ الحديث: ١٧١٨ - كتاب الأقضية/ باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.
- سنن أبي داود: ج٢ ص ٦١٠ الحديث: ٤٦٠٦. كتاب السنة/ ت/ ٥م باب: في لزوم السنة.
- مسند أحمد ج٦ ص ٢٧٠ الحديث: ٢٦٣٧٢ - باقي مسند الأنصار/ حديث السيدة عائشة.

(٢) صححه الألباني:
- سنن النسائي: ج٣ ص ١٨٨ الحديث: ١٥٧٨ — كتاب صلاة العيدين/ باب: كيف الخطبة.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المصطفى، وبعد:

فإن هذه الورقات عجالة فيها تلخيص أمهات مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، اعتمدت فيها على "القصيدة اللاَّمية" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد عرض فيها رحمه الله تعالى بأسلوب رائق عذب لتلكم المسائل فبيّنها بما هو المنهج عند أهل السنة والجماعة، ليسهل على الداعية وطالب العلم حفظها، ومن ثَمَّ استذكار ما ذكرنا من مسائلها، ولا شك أن المسائل غير المذكورة كثيرة، وحسبنا ما ذكرناه في تحقيق الهدف الذي لأجله كان هذا الشرح.

وأحسب أن ما فيها من البيان كافٍ لطلبة العلم ابتداءً كزادٍ في علم التوحيد، وقد روعي ذلك في أسلوب الشرح، وفي الاستطرادات المناسبة من حيث النوع ومن حيث الكمّ.

أما من حيث النوع فإن الشارح لم يعمد إلى ذكر مناظرات المختلفين، وخلافات الفرق، ولا إلى مآخذهم في الاستدلال، وإنما اكتفى بإيراد ما يلزم الطالب علمه.

أما من حيث الكمّ، فقد حرَصتُ على ذكر المسائل التي لم يتطرّق إليها الشارح؛ وهي مما لا يسعُ جهله، دون الاستكثار من ذلك، فالخروجِ عن حدّ الإيجاز والاختصار إلى التطويل والإطناب، كلُّ ذلك حرصاً على تحقيق الهدف المنشود من الشرح، واستهدافاً لفئة الطلبة المبتدئين والدعاة غير المتخصصين بالعلوم الشرعية، وعدم إشغالهم بما لا ينفعهم؛ على الأقل في مرحلة الطلب الأولى.

كما أنني رأيت في هذه الأبيات وشرحها - على ما قرأتَ - زاداً مناسباً للدعاة والمربّين، لا يسع من يعمل في حقل الدعوة الإسلامية جهله.

وإنني أسأل الله العظيم أن يجزي القائمين على إخراج هذا الكتاب خير الجزاء، وأسأله ﷻ أن يرزقنا طريق السلف في العلم والعمل، وأن يغفر لنا ولهم فهم إخواننا

الذين سبقونا بالإيمان وألاّ يجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، إنه غفور رحيم.

والحمد لله رب العالمين

المراجع والمصادر

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة الحنبلي، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤٠٩.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٣- الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم، عبد العزيز محمد الحجيلان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٥.

٤- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٩٩٧.

٥- الأسماء والصفات، البيهقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٦- اعتقاد أهل السنة في الصحابة، محمد عبد الله الوهيبي، من منشورات مجلة البيان.

٧- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، ط٧، ١٩٩٩.

٩- الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٥.

١٠- الإمامة، أبو نعيم الأصفهاني، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤٠٧.

١١- الإيمان، احمد بن عبد الحليم بن تيمية، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٩٩٦.

١٢- الإيمان؛حقيقته ونواقضه، محمد نعيم ياسين، دار اقرأ، صنعاء، اليمن.

١٣- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، أحمد شاكر،

١٤- بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز، الفيروزأبادي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٥- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧- تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية.

١٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت.

١٩- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الأرقم، بيروت.

٢٠- تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، عبد المنعم حليمة، دار البيارق، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

٢٢- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، صلاح الصاوي، المنتدى الإسلامي، ط١، ١٩٩٤.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت.

٢٤- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت،

ط٣٧، ٢٠٠٠.

٢٥- الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، دار اليمامة.

٢٦- الجامع الصحيح، "سنن الترمذي"، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي.

٢٧- جامع العلوم والحكم، زين الدين أبو فرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادي المعروف بابن رجب الحنبلي، دار المعرفة بيروت.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٩٩٦.

٢٩- الجامع للمتون العلمية، عبد الله محمد الشمراني، دار الوطن، ط١، ٢٠٠٢.

٣٠- دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، الرياض، حقوق الطبع للمؤلف، ط١١، ٢٠٠٣.

٣١- الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، أبو عبد الله محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، الجامع للمتون العلمية، عبد الله الشمراني، دار الوطن للنشر، ط١، ٢٠٠١.

٣٢- ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادي، المعروف بابن رجب الحنبلي،

٣٣- الردّ على الجهمية، أبو سعيد الدارمي، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٩٩٥.

٣٤- رسالة العقائد، ضمن مجموعة رسائل الإمام البنا، دار القلم، بيروت.

٣٥- الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار

البشائر الإسلامية.

٣٦- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي، المكتب الإسلامي.

٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مكتبة الإيمان، المنصورة.

٣٨- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت.

٣٩- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر، بيروت.

٤٠- سنن البيهقي الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مكتبة الدار.

٤١- سنن البيهقي الكبرى،، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مكتبة دار الباز، السعودية.

٤٢- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، دار الكتاب العربي.

٤٣- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.

٤٥- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٩، ١٩٨٨.

٤٦- شرح القصيدة اللامية، عبد الكريم الخضير، "ألكتروني"، على شبكة الإنترنت، موقع صيد الفوائد.

٤٧- شرح القصيدة النونية لابن القيم،محمد خليل هراس، دار المنهاج، ط١،

٢٠٠٣.

٤٨- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، السعودية، ط٤، .٢٠٠١

٤٩- الشرح الممتع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٢.

٥٠- شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، رأفت محمد رائف المصري، رسالة ماجستير، قدمت في الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣، بإشراف فضيلة الدكتور أحمد نوفل.

٥١- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٢- ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، دار الكلمة، السعودية، ط١، .١٩٩٩

٥٣- العلوّ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٤- العواصم من القواصم، القاضي ابن العربي المالكي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

٥٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط١، .١٩٩٧

٥٦- فتح القدير الجامع بين علمي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن الشوكاني، دار الأرقم، بيروت.

٥٧- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار المنارة، القاهرة.

٥٨- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الظاهري،

٥٩- فقه الزكاة، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط٧، ٢٠٠١.

٦٠- فهرس الفهارس، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢.

٦١- لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، ضمن جامع المتون العلمية، المذكور مرارا.

٦٢- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت،

٦٣- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، إبراهيم البريكان، دار السنة، الخبر السعودية، ط٤، ١٩٩٦.

٦٤- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة.

٦٦- المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت.

٦٧- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة ابن تيمية.

٦٨- مجلة الحكمة، العدد الرابع عشر، بحث "لامية شيخ الإسلام ابن تيمية"، هاني بن عبد الله جبير.

٦٩- المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية، جدة، ط١، ١٩٩٤.

٧٠- معالم التنزيل، البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.

٧١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام

هارون، دار الجيل، بيروت.
٧٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن زيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، الرياض.
٧٣- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، ط٢، ١٩٩٩.
٧٤- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، مكتبة الرشد.
٧٥- المنظومة اللامية في الأصول الاعتقادية، علي حسن الحلبي، دار المنهاج، القاهرة، ٢٠٠٤.
٧٦- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،
٧٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٨- الموطأ – برواية يحيى الليثي، أبو عبد الله مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٩- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٥.
٨٠- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن محمد "ابن حجر العسقلاني"، جامع المتون العلمية، جمع وعناية عبد الله الشمراني، دار الوطن، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.
٨١- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير
٨٣- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٩٩٥.

٨٢- الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، دار الراية، السعودية، ط١، ١٤١٨.

الفهرس